

2 me Année, No. 30

Lundi-29-1-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم { ٤٢٩٩٢ ٤٠٥٣٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

صـ ٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الاقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العــدد الثلاثون — القاهرة في يوم الاثنين ١٣ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٩ يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العــدد

صفحة

٣ الى الاقصر : أحمد حسن الزيات
٥ ربع مية : الدكتور طه حسين
٧ منطق اللغة : الاستاذ احمد أمين
٩ أحاديث الناس : الاستاذ حسن جلال
٩ الروضة : المرحوم احمد باشا تيمور
١٥ أبو عبد الله آخر ملوك الاندلس : الاستاذ محمد عبد الله عنان
١٨ أطلنطس (القارة المفقودة) : الدكتور محمد عوض محمد
٢١ الشعر والفن : شوقي ضيف
٢٤ التفاؤل والتشاؤم : ابراهيم تادرس بشاى
٢٥ المعتصم بن صمادح : الدكتور عبد الوهاب عزام
٢٦ الحرص على الحياة : الامير مصطفى الشهابي
٢٧ شوقية لم تنشر : المرحوم شوقي بك
٢٨ المحزون : خليل بك مردم
٢٩ السكك الحديدية تحت الارض : الاستاذ فخرى أبو السعود
٢٩ الى شباب العيد : الاستاذ محمود الخفيف
٣٠ الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية : مدحت عاصم
٣٣ العنصرية : الدكتور احمد زكي
٣٧ مسارحنا في الاعياد : ناقد الرسالة الفني
٣٩ أمير النوبة : حسين شوقي
٤٠ أساف ونائلة : سليمان متولى
٤٢ حياة نابليون : عبد الفتاح السرنجاوى

الى الأقصــر . . .

— ١ —

كان لا بد للاَّغب أن يستجمّ ، وللصائم أن يعيّد ، وللمجادل في مجد الفراعين أن يزور الأقصر .

وكان (قطار الآثار) قد جرأ الجيوب الهزيلة على أن تبارى الجيوب الأمريكية في (وادى الملوك) ! وقطار الآثار كقطار البحر فكرة سديدة ، تنفذها ادارة رشيدة . .

ولكنّ حرفَ (لكن) لا يزال وا أســفاه أكثر أخوات (إنّ) استعمالا ، وأشدها بحياتنا اتصالا ! فأنا مضطر أن أقول : ولكن هذا القطار لا يصلح إلا لأقوياء البنية ، أشداء العصب ، ممن يستريحون على الوقوف ، وينامون على الرفوف ، ويغمضون على ضيق المكان ، وكظة الديوان ، وحرج الأسِرّة . أما أخو الجسد المهدود ، والعصَب المجهود ، فلا مناص أن يقضى ليله كما قضيت : مقسم النفس بين القلق والأرق ، لا يجد نفسه ولا يملك قلبه !

سار بنا القطار المُثقَل في منتصف الساعة التاسعة من مساء يوم الاثنين أول أمس العيد ، وكان المفروض على راكبه أن يبيت قائماً في الممشى ، أو نائماً على (الرف) ، أما الجلوس لو أراد ، فلا سبيل اليه إذ لا محل له ! وكان من

٢٠١١

الميسور تلطيف هذا المقدور بشيء من لهو الحديث لو جمعنا الحظ العنيد برفقـــة من أهل الأنس ، ولـكنني كنت أنا وصديق بين أربعة لا يصل أحدهم بالآخر سبب من جنسية أو لغة ، فحملونا مكرهَين الى الفراش النابي والوساد القلق ... ولا أريد أن أثقل عليك وعلى ادارة القطار بذكر ما أعقب ذلك من أزمة الصدر ، وضمة القبر ، وازعاج الصحب ، واغاثة الاسعاف ، وقضاء الليل الطويل قابعا أمام الباب لا يخدع فى عيني نعاس ، ولا ينفس عن صدري فرج ، فان علاج ذلك كله اعداد عربة للجلوس يتنفس فيها الساهد المكروب باللهو والسمر

***

القطار الجاهد يخوض فى أحشاء الليل المظلم ، والهواء البارد يسفي غبار الطريق الخانق ، والركب المترجح يغط فى النوم غطيط الخلي ، والكرى الجائر قد غلبني على أخوي فأوى بهما الى المضجع ! وانا وحدى فى هذا القفص الطائر أرعى نجوم الكهرباء فى سمائه المحصورة الرفيعة ، وأقول فى آخر ليلة من ليالى رمضان المحتضر : متى يا الله الناس يصبح هذا الليل ؟ !

وأخيرا ، أخذ نور المصابيح الزاهر يشحب قليلا فقليلا ، وستر الظلام الصفيق يرق عن جوانب القطار شيئا فشيئا ، وانفاس الفجر الندية تخلص الى من خلال النوافذ ، وكنا حينئذ نمر على الجسر الحديدى « بنجع حمادى » ، ففتحت الشباك القريب وارسلت طرف الكليـــل فى شمال الوادى ، فرأيت رءوس الشجر الرفيفة ، وذوائب النخل الرفيعة ، طافيـة فى سيل من الضوء المشوب المبهم ، وتبينت القرى الجاثمة على الضفاف الخضر تستيقظ مطلولة الجنبات مع الطبيعة ، والصبح الوليد يهتك عن مهده الوردى كلة السحر الداكنة ، وأبصرت من وراء (قنا) خطا من ذائب المرجان قد ارتسم على قمم الجبال اللوبية ، ثم أخذ ينتشر ويدأ على الظلال المتخلفة من بقايا الليل حتى غمر الوادى ، فاستبانت فى سهوله الخصيبة حقول القمح والفول والعدس يكللها الطل ، ويهفو فوقها رقيق الضباب

***

أشرقت الشمس علينا كما كانت تشرق منذ آلاف السنين على سيتى ورمسيس ، فهى وحدها المخلوق الذى شهد ضخامة الماضى ، ويشهد الآن ضآلة الحاضر ! فليت شعرى ماذا تقول ذكاء فى هؤلاء الأقزام الذين يحجون اليوم (طيبة) محتالين على مركب ليس لهم فى صنعه قسط من حديد أو خشب ؟ ماذا تقول ذكاء وقد رأت ملوكنا العماليق وهم فى طفولة البشرية ينقلون قطع الجبال من أدنى الشمال الى أقصى الشلال على عجلات وآلات من خلق عقولهم وصنع أيديهم ، ثم ترانا معشر الأعقاب نلوك الفخر أمام الغربيين بعظمة الأقدمين ، ونتبجح أمام الأقدمين بعبقرية الغربيين ، فنحن كخلفة الدوحة العتيقة تنبت رخوة على جوانب الجذر الثابت ، ثم يقعد بها الوهن عن مطاولة الجذع ، فلا هى فى رسوخ الأصل وقوته ، ولا هى فى سموق الفرع واشرافه ! !

***

لا يكاد الصعيد يختلف اليوم عما عهده الفراعين منذ أربعة آلاف سنة ! فالشمس المعبودة هى الشمس ، والنيل المقدس هو النيل ، والقمح الذى خزنه (يوسف) هو القمح ، وجوارح الطير التى تحوّم فوق ساحلى النهر هى بأنواعها وأشكالها وألوانها التى كانت تحلق فى أجواء « طيبة » ، لأن الحيوان والنبات قلما ينالهما التغير . أما الذى نال منه الحدثان ، وغير من حاله الزمان ، فهو هذا الانسان المسكين ، فانسان النيل لم يعد ذلك الذى قارع الدهر ، وصارع البلى ، وحاول الخلود ، وقدس القوة ، وأخضع العراق والشام وفلسطين والسودان والحبشة ، وإنما أصبح من فعل القرون وإلحاح الجور شيئاً من المتاع تابعا للأرض ، يُملك ولا يَملك ، وينتج ولا يُهلك !

على أن القبس الالهى العربى الذى بعث الضوء فى شبابه الكادى ، والحرارة فى جسمه المنحل ، لا يزال قديراً على إحيائه ، جديراً برفعه

واذا كان البحر يتعاوره الجزر والمد ، والشمس يتعاقبها الغروب والشروق ، والطبيعة يتناوبها الخريف والربيع ، فان مصر الناهضة تشارف بثروتها المد ، وتطالع بقادتها الشروق ، وتستقبل بشبابها الربيع !

ضحت الشمس واستطاع النظر القصير أن يجمع الوادى فى

ربع مية ...

للدكتور طه حسين

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
وقفت فيها أصيلا لا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد

ولم يكن ربع مية بالعلياء فالسند، وانما كان فى صحن الازهر، وعند القبلتين القديمة والجديدة ؛ حيث كانت الحركة المتصلة فى الليل والنهار ، وحيث كان ذلك الدوى الغريب الذى لم يكن ينقطع الا فى اوقات الصلاة العامة . والذى كثيرا ما فكرت فيه وسألت نفسى عن هذه الأجزاء التى لاتحصى ، والذرات التى لاتعد ؛ والتى كانت تؤلف جوهره وتكون مزاجه ؛ وتجعل منه وحدة لا يظهر فيها الاختلاف ، ولا يحس فيها التباين ؛ فاذا حللتها رأيت اختلافا لاحد له ، وتباينا ليس له آخر : رأيت أصوات قوم يتحدثون فى متاع الدنيا ولهوها ، واصوات قوم آخرين يتحدثون فى جد الحياة وآلامها ، وقوما يذكرون الله ، وقوما يدرسون العلم ؛ وقوما يتلون القرآن ، وقوما يقرأون ما يخطر لهم وما لا يخطر لك على بال ، وقوما يخوضون فيما تظن وفيما لا تظن من فنون الحديث ؛ ومن هذه الاصوات كلها ينعقد صوت واحد قوى ضخم عميق عنيف متحد يملأ فضاء الازهر منذ تدخله الى حين تخرج منه ، ويملأ فضاء الازهر من أى باب ولجته ، الى اى باب تجاوزته ، ويملأ فضاء الازهر فى جميع ارجائه وأنحائه على كثرة مافيها من الأنحناء والالتواء والانعطاف

نعم فى هذا الربع الذى لم يكن يخلو فى نهار ولا فى ليل ، ولم يكن يهدأ فى شتاء ولا فى صيف ، ولم يكن يشعر بالحاجة الى الحياة لانه كان حياة كله . وكان حياة كأشد ما تكون الحياة قوة وحركة وإنتاجا . فى هذا الربع وقفت كما وقف النابغة فى ربع مية ؛ ولكنى لم أقف أصيلا وإنما وقفت بعد صلاة العتمة ففهمت هذا النحو من شعر القدماء ، أو قل أحسست هذا النحو من شعر القدماء ، فما أكثر ما نفهم الشعر القديم والحديث دون أن نحسه كما يحسه قائلوه . ودون أن نتأثر به كما يتأثر به الشعراء

وكان الأزهر كربع مية ، خلا بعد عمران ، وسكن بعد حركة ، وأعيا عن جواب السؤال حين وجه اليه السؤال ، وكان الازهر كربع مية قد طال عليه الأمد وبعد به العهد . طال عليه الأمد أكثر مما طال على ربع مية فما أظن أن ذلك الأمد الذى ذكره النابغة والذى طال على ربع مية كان طويلا مسرفا فى الطول يكاد يبلغ ألف سنة كهذا الأمد الذى أذكره حين أتحدث عن الازهر والذى ذكرته حين تحدثت الى الأزهر منذ أسبوعين . وكان الأمد بين الأزهر وبينى قد طال . فما أذكر أنى دخلته منذ بضع عشرة سنة ، وما أذكر أنى طوفت فيه منذ أكثر من عشرين عاما ، ولكنى حملت فى نفسى دائما للازهر صورة حية قوية شديدة الحركة عظيمة النشاط رائعة الدوى عسيرة التحليل ، وكنت أسعى إلى الأزهر منذ أسبوعين وإن قلبي ليخفق سعادة واغتباطاً وحنينا إلى هذه الصورة التى صحبتنى ربع قرن وطوفت معى فى أقطار الأرض واستقبلت معى ألوان الخطوب لم تضعف ولم تفتر ولم تتضاءل . والتى كنت أسعى بها إلى أصلها الأصيل فى صحن الازهر وعند القبلتين لتستمد قوة إلى قوتها وحياة إلى حياتها ؛ فلما بلغت الربع - وليتنى لم أبلغه — نظرت فاذا الصورة أقوى من الأصل ، واذا الأزهر الذى أحمله فى قلبى أشد حركة وأعظم نشاطا وأقوى حياة من الازهر القائم هناك فى حى من أحياء القاهرة .

قال أصحابى وكلهم مثلى من أبناء الازهر الذين بعد عهدهم به وطال فراقهم له : وما يمنعنا أن نختم رمضان بزيارة قصيرة للازهر نحيي بها العهد القديم ونذكر بها أيام الشباب . قلت وإنى فى ذلك لراغب ، وإنى إلى ذلك لمشوق . ومضينا الى الازهر ونحن نقدر أن سنجد فيه تلك الصور التى ألفناها ، وأن سنسمع فيه ذلك الدوى الذى عرفناه ، وأن سنختلط به اختلاطاً ، ونمتزج به امتزاجا ، ونقف فيه كما كنا نفعل أيام الشباب وقفات فيها الجد الخصب ، وفيها هزل يشوبه الحب والعطف . تنتقل بين هذه الحلقات المنبثة فى أرجائه نسمع لهذا الشيخ وهو يقرأ الحديث أو التفسير أو يقص قصص الوعاظ

نظرة ! وهيهات لابن (الدلتا) الفسيحة أن يفهم معنى الوادى إلا فى أعالى الصعيد ! فهنالك تتقارب السلسلتان بما وراءهما من موات وجدب ، وينساب بينهما النهر العظيم بما يحمل من حياة وخصب ، ويشعر المصرى الذى يرى هذا المنظر أول مرة فيجد واديه كله فى عينه وفى قلبه ، بنوع من الغبطة لم يحسه من قبل ، ويستغرق فى نشوة من الذكريات والامانى لا يخرجه منها الا وقوف القطار على محطة الأقصر ...

أحمد حسن الزيات

فيعجبنا صوته والقاؤه وفهمه وإفهامه فنعجب به ونبسم له . وتتجاوزه الى ذلك الشيخ فيضحكنا صوته أو إلقاؤه أو لازمة من لوازمه أو بعض مايدفع اليه من الخطأ فى الفهم أو السخف فى الافهام فننصرف عنه ضاحكين متفكهين ، حتى اذا قضينا من هذا كله أربا خرجنا وقد ذكرنا أنفسنا وسعدنا بلقاء تلك الأيام العذاب .

كنا نقدر هذا كله ، فلما دخلنا الازهر لم نر الا وحشة ولم نحس الا صمتاً ، لم نعرف شيئا ولا أحداً ، ولم يعرفنا شيء ولا أحد . وإنما كنا أشبه شيء بالأشباح أو الاطياف تمضى فى مكان خال موحش لاحياة فيه ولا عمران ، وأشهد لقد لقينا خدم الازهر باسمين بنا محتفين بنا ، يسعون بين أيدينا ومن حولنا ، كانما نحن جماعة من السائحين الذين لا علم لهم بالازهر ولا معرفة لهم بخفاياه ، فهم يهدوننا ويدلوننا ويرفقون بنا فى الحديث . ويحكم ! فانا أعلم منكم بالازهر وأعرف بمعالمه ، وإنا لم نأت لنلقى منكم هذا الرفق ، وإنا لنفضل أن تلقونا بما كان يلقانا به أسلافكم من ذلك العنف الذى كانت تحبه نفوسنا وان أظهرنا منه النفور . اين الجبلاوى واعوان الجبلاوى ؟ اين تلك العصى التى كانوا يهزونها فتسمع لها اصوات خفيفة ولكنها مخيفة ؟ اين الغراب وايام الغراب ؟ اين رضوان وجنود رضوان ؟ اين الجندى واعوان الجندى ؟ اين هؤلاء جميعا وما كان يحيط بهؤلاء جميعا من جلال كنا نزدريه وكنا نضيق به ، وهانحن أولاء نذكره الآن فتذهب نفوسنا فى اثره حسرات . ولست ادرى من هذا الذى عرفنا فاسرع بأسمائنا الى رجل كريم من أصحاب الفضيلة المفتشين . وانى لأطوف مع صاحبى فى الازهر يتحدث الى واتحدث اليه بهذا الصوت الهادىء الخافت الذى نصطنعه اذا خلا احدنا الى صاحبه . كأنما نحن فى دار من الدور او فى بيعة من البيع التى يحسن فيها الهمس لا فى الازهر الذى لم يكن يحب الا الجهر ورفع الصوت ، وما راعنا الا صاحب الفضيلة وقد اقبل علينا طلق الوجه باسم الثغر مبسوط الاسارير يحيينا تحية الرجل الكريم ، ويدعونا الى ضيافته ويلح علينا فى ان نصعد معه الى حيث يتلى القرآن ويشرب الشاى ..

وكنا نود لو استطعنا ان نخلو الى هذه العمد القائمة لنجدد عهدنا بها ، ولننبئها ذكرى تلك الايام ، ولنسألها عما الم بها من الحوادث وما اختلف عليها من الخطوب منذ فارقناها ، ونظفر منها بهذا الصمت الذى هو افصح من الكلام وابلغ منه أثرا فى النفوس ، ولكن الشيخ دعا فلم يكن بد من ان نستجيب ، فمضينا مع الشيخ الى حيث اراد ، وصعدنا معه الى غرفة من تلك الغرفات التى كنا نذكرها ايام الصبا فتمتلىء قلوبنا لذكرها مهابة واجلالا ورهبة واكبارا . فى تلك الغرف كان يستقر شيخ الازهر ومفتى الديار . وفى تلك الغرف كانت تدبر امور الازهر وتصرف شؤون العلماء والطلاب ، وحول تلك الغرف كانت تتطاير طائفة من الاحاديث والاساطير عن حياة الشيوخ واقوالهم وأعمالهم . وكانت هذه الأحاديث تصل الينا فنعجب بها ونبسم لها ونلتمس فيها العبرة والعظة والفكاهة . وكنا ننقل هذه الأحاديث الى بلادنا فى الريف فنقصها على آبائنا واخواتنا فيعجبون بها ويكبرون أصحابها ويتخذونها ذخراً لما يعقدون من مجالسهم اذا أشرق الصبح أو أقبل المساء .

صعدنا مع الشيخ الى تلك الغرفات ونحن نسأله عن الأزهر ما خطبه ، وعن هذا الصمت ما مصدره . والشيخ صامت كالأزهر لا يستطيع رجع الجواب . ثم انتهينا مع الشيخ الى طائفة من أصحابه كرام مثله لقونا لقاء حسناً ، وحيونا تحية حسنة ، كما لقينا الشيخ وكما حيانا ، ونسألهم عن الأزهر ما خطبه ؟ وعن هذا الصمت ما مصدره ؟ فاذا هم صامتون كالأزهر ، وإذا هم صامتون كالشيخ ، وإذا هم لا يستطيعون رجع الجواب .

ثم تدور علينا أكواب الشاى ، ثم تتلى علينا آيات الله فى صوت عذب ولهجة حلوة وقراءة صحيحة مستقيمة نقية تصل الى أعماق القلوب . ولكن من القارىء ؟ من أين جاء ؟ ما شكله ؟ وما زيه ؟ أنه رجل مطربش قد اتخذ زيا غير زى الأزهر ، لأنه ليس من أهل الأزهر وإنما هو من عمال العنابر . تبارك الله ! رجل من غير الأزهريين يتلو القرآن بين الازهريين ! هذا خير ، هذا خير كثير ولكنه غريب لم نكن نقدر أن نلقاه فى أيامنا تلك . وكنا نحب أن نلقاه الآن والأزهر معمور يموج بالناس وترتفع فيه أصوات الشيوخ بقراءة القرآن . ولكن الازهر ساكن صامت ، وهذه الطائفة الكريمة من العلماء الواعظين قد استمعوا وأنصتوا لتلاوة القرآن الكريم تخرج من رأس عليه طربوش . هذا خير ما فى ذلك شك . ولكن هذه الصورة مازالت غريبة فى أنفسنا ، وما زال موقعها من قلوبنا شاذا قلقا ، ومع ذلك فقد يقال إن الشيوخ محافظون ، وانا نحن من أصحاب التجديد .

ثم انصرفنا محزونين مستيئسين ، جئنا نزور الأزهر فلم نر الأزهر ، وانما رأينا اطلاله ولم نستطع أن نطيل عندها الوقف . قلت لأصحابى : ولكن ما هذا الصمت وكيف انتهى الأزهر اليه ؟ وأيكم كان يظن أن ذلك الصوت العظيم يقضى عليه فى يوم من الأيام أو فى

(البقيـة على صفحة ٤١)

منطق اللغـــة

للأستاذ أحمد أمين

قال صديقي : ألا تنظر إلى هذه الظاهرة الغريبة ؟ أنا فى مجلس يتجادل أحيانا فيما يُعرض عليه باللغـــة العربية ، وأحيانا باللغة الانجليزية ، فاذا تجادل باللغة الانجليزية فالحجة تُقرَع بالحجة فى إيجاز ، وداخل حدود معينة . قلّ أن يكون هناك استطراد . وقلّ أن يكون لعب بالألفاظ ، وقلّ أن يكون خروج عن الموضوع ، وقلّ أن يكرّر المجادل نفسه فيما يقول . فاما أن يأتى بحجة جديدة وأفكار جديدة ، وإما أن يسكت . وما هى إلا هنيهة حتى يؤخذ الرأى ، ويفصل فى الأمر . وإذا تجادلنا باللغة العربية فهناك يطول الجدل ، ويكثر الحديث ، وكثيراً ما تقرع الحجة لا بأختها ، ولكن ببنت عمها ، وكثيراً ما يستطرد من موضوع إلى موضوع لأقل مناسبة أو بدونها ، وبعد طويل من الزمان يعودون إلى ما بدءوا فيه ، وتثار مسائل كثيرة لا يفصل فى واحدة منها ، ويقول المجادل الآن ما قال من قبل ، فيرد عليه صاحبه بمثل ما رد من قبل ، وتتشعب الآراء حتى يصعب حصرها . وحتى ينسى أخيراً ما بدىء به أوّلا ، ثم يؤخـــذ الرأى وقد ملّ المتجادلون ، وسئموا الجدل ، وودوا أن يفصل فى الأمر على أى شكل . ولذلك قد يكون الرأى يؤخذ أخيرا شراً من الرأى يؤخذ أولا ، بل قد يكون الرأى الذى قرر لا علاقة له بالمسألة التى أثيرت من قبل .

نعم يا صديقى . أنا أعتقد أن لكل لغة منطقا يخالف منطق اللغة الأخرى ، وأن المسألة لا ترجع الى عقليـــة المتجادلين وحـدها ، فقد يتجادل جمـاعة — كما ذكرتَ — باللغـة الأجنبية ، ثم هم أنفسهم يتجـادلون باللغة العربية فيكونون فى الأولى أكثر توفيقا ، وليس من الصحيح أن ترجع هذا إلى ضعفهم فى اللغة الاجنبية . وقوتهم فى اللغة العربية ، فهذا القول ينطبق تماما على من أجادوا اللغتين ، وحذقوا اللسانين

وتعليل ذلك قد يبدو غريبا ، فان أول ما يتبادر الى الذهن أن اللغة ليست إلا وسيلة للتعبير عن المعانى ، وليست إلا مظهراً من مظاهر العقلية ، فاذا كان التفكير صحيحا سليما كان التعبير عنه كذلك مادام صاحبه يجيد التعبير ويتقن اللغة ، واذا كان التفكير فاسدا كان التعبير عنه فاسدا متى وفق صاحبه للتعبير عما يريد ، ولكن يظهر لى أن المسألة أعمق من ذلك وأن هناك تفاعلا بين اللغة والتفكير ، فاللغة المنظمة تعمل فى تنظيم الفكر ، والفكر المنظم يعمل فى تنظيم اللغة — وكذلك العكس — وان المتكلم إذا تحدث باللغة الانجليزية أو الفرنسية خضع لمنطقها وطرق تفكيرها كما يخضع لاختيار كلماتها ، واختيار أساليبها وكيفية معالجة الموضوع ، فيؤثر ذلك كله فى تفكيره وجدله وحججه ، وعلى الجملة فهو يحاول ان يكون انجليزيا أو فرنسيا فى تفكيره كما هو انجليزى أو فرنسى فى لغته — يشعر هذا تمام الشعور من أجادوا لغتين أو أكثر ، فهم إذا تكلموا بلغة أجنبية راقية شعروا مثلا — بأن هناك غرضا محدوداً واضحا يرمون إليه فى حديثهم وحججهم ، وأنهم يضعون لذلك خططا ثابتة معينة تشبه خطط الحرب يضعها قادتها لتسلم كل خطوة الى التى تليها ، أو كالخطط التى يضعها لاعب الشطرنج الماهر إذا لعب لعبة علم ماذا يريد منها وما هى الألعاب التى تترتب عليها فتنتج الفوز ، وهو هو اذا تكلم باللغة العربية لم يتضح القصد له وضوحه باللغة الاجنبية ، ولم يرتب حججه ذلك الترتيب الذى يرتبه باللغة الاجنبية — ومن أوضح الامثلة على ذلك أن مجيد اللغتين كثيرا ما يفكر باللغة الاجنبية ، ثم يترجم تفكيره الى اللغة العربية ، وقلما يعكس ، مع أن اللغة العربية هى لغته الأصلية ، وهى التى نشأ عليها وتربى فى أحضانها ، فكان معقولا أن تكون هى لغة تفكيره

فاذا عبر بلغة أجنبية نقل تفكيره اليها ـ وليس من الهين تعليل هذه الظاهرة ، ولكن يمكن أن يقال ان السبب فى ذلك أن اللغات الأجنبية الراقية قد استكملت أدواتها ، من حيث الألفاظ الموضوعة لكل آلة مخترعة ولكل معنى مستكشف ، كما استكملت أدواتها من حيث أساليب التفكير وصياغة المعانى صياغات مختارة . أدخل فى الذهن ، وأقبل للعقل ، وأجمل فى الذوق ، وأن اللغة العربية أبطأت فى تاريخها الحديث ولم تسرع فى السير ، برغم مايقوله الدعاة من أنها أغنى اللغات وأجمل اللغات ، ثم يناموت على ذلك من غير أن يعملوا على تكميل نقصها ، ومعالجة ضعفها ، وكيف يعمل على معالجة الضعف من لم يشعر بألم المرض ؟ وكيف يعمل على تكميل النقص من لم يشعر بنقص؟ ـ لهذا كان فكر المفكر اذا أجاد اللغتين يتبع ـ من غير اختيار ـ أرحبها صدرا وأغزرها مادة وتعبيرا

وسبب آخر : وهو أن الأمم الأجنبية الراقية قدمرنت طويلا على المجالس النيابية والمناظرات المدرسية والجامعية ، وتكونت لها مع طول الزمن تقاليد معروفة مألوفة غير مكتوبة ، وأثرت فى جدلهم ومناظراتهم ومجالسهم أثرا كبيرا ، كما أثرت فى طرق تفكيرهم ولغتهم التى يتبعونها فى الجدل والمناظرة

ثم — مما لا شك فيه — أن هناك ارتباطا قويا بين اللغة والخُلق ، فلست تجد فى لغة أجنبية من ألفاظ الملق وعباراته ما تجده فى اللغة العربية مما أدخله عليها الفرس والأتراك ، ولا تجد من عبارات الحشو التى تدل على الذل والخضوع ما تجد فى لغتنا العربية الحديثة كانت اللغة ديمقراطية شريفة نبيلة يوم كانت اللغة العربية لغة العرب الديمقراطيين الذين لايفرقون كثيرا بين مخاطبة الأمير ومخاطبة بعضهم بعضا ، ثم أصبحت لغة العبيد يوم تسرب الى أهلها الذل والعبودية — لقد جلست أول أمس الى رجل يحدثه باشا ، فكان ما أحصيت فى حديثه من « سعادة الباشا » أكثر من كلماته فى الموضوع — ومالى أذهب بعيدا — ومدلول الكلمة فى اللغة العربية أصبح غير مدلوله فى اللغة الأجنبية ، فاذا قال الألمانى أو الانجليزى « نعم أفعل » لم تدل على نفس المعنى الذى يقوله المتكلم باللغة العربية « نعم أفعل » « فنعم أفعل » العربية تدل على أنه قد يفعل وقد لا يفعل — والسامع إذا سمعها شك فى مدلولها « هل يفعل أو لا يفعل » فاحتاج الى أن يكرر عليه الطلب والرجاء . واحتاج المتكلم أن يعيد « نعم أفعل » وربما أقسم ، وربما استعمل كل صيغ التأكيد ، وهى بعد هذه الأيمان وهذه التأكيدات كلها لا يزال مدلولها أنه قد يفعل وقد لا يفعل — وهو اذا لم يفعل لم يخجل ، لأنه حقق وجها من وجوه الجملة — بل المتكلم الشرقى اذا قال « سأفعل » باللغة الأجنبية كانت أقوى فى نظره وأكثر التزاما مما إذا قالها باللغة العربية ، والمتكلم هو هو ، لم يتغير فى الكلمة إلا التعبير عنها باحدى اللغتين ، فاذا قالها العربى لأجنبى كان لها أشد احتراما ولتنفيذها أشد رغبة وأقوى ارادة — أليس فى هذا كله دليل على شدة الارتباط بين اللغة والعقل واللغة والخلق ، وأن العقل واللغة والخلق كلها تتفاعل ، فاذا رقيت اللغة تبعها — نوعا ما — رقى العقل والخلق ، وإذا رقى العقل تبعه — نوعا ما — رقى اللغة والخلق ، وهكذا . ومن هذا تنتج معادلات جبرية معقدة الحل

إن الغيرة القومية والنهضة الشرقية تتطلبان أن يعنى قادتها بهذه المظاهر ، وأن يضعوا للأمة تعاليم جديدة فى اللغة والتفكير ، فهم مطالبون بكل الوسائل أن يميتوا ألفاظ الملق من اللغة العربية ويحيوا ألفاظ الأدب النبيل ، وأن يربطوا أشد الربط بين الالفاظ ومدلولاتها ، فلا يسمحوا أن يضيعوا مدلول الالفاظ كما هى ضائعة اليوم — وأن يضربوا الأمثال للناشئين فى الجدل والمناظرات فيعلموهم كيف تؤدى المعانى على وجوهها ، وكيف تلتزم حدود الجدل فلا تتخطى ، وكيف يرسم الغرض الذى يرمى اليه الباحث ، وكيف يختط السبيل اليه ، وكيف

أحاديث الناس ؟ !

للاستاذ حسن جلال

المنظر الاول

(فى الطريق)

رجلان يسيران الى جانب الطريق . فيصادفهما ثالث يعرف أحد الرجلين دون الآخر فيستوقفه . ويدور بينهما الحوار الآتى بينما يتنحى الرجل الآخر ناحية ريثما ينتهى صاحبه من الحديث

١ ـ أين أنت يارجل ؟ نحن لانكاد نراك الا مرة فى كل عام !

٢ ـ أنا « تحت الانظار » يافندم !

١ ـ كن فوقها واظهر !

٢ ـ ها . ها !

١ ـ سلامات !

٢ ـ أوحشتنا !

١ ـ طيبون !

٢ ـ الله يحفظك !

١ ـ الى أين ؟

٢ ـ أرافق صاحبى هذا (ويشير اليه) ·

١ ـ طيب ياأخى « أروفوار » !

٢ ـ مع السلامة ياعزيزى !

يتصافحان بشدة ويعود الرجل الى صاحبه الذى كان ينتظره ويقول :

روح الله لايرجعك . انك ثقيل !

الصاحب ـ من هذا؟

ـ والله لست اعرف اسمه !

ـ ظننت من حرارة حديثكما أنه أحد أقاربك المقربين !

ـ على العكس . فأنى لم أره فى حياتى قبل هذه المرة الا مرة واحدة . وكان ذلك فى (قطار البحر) هذا الصيف حيث كنا نحن الاثنين فى طريقنا الى الاسكندرية فقطعنا الطريق فى الحديث ولكنى لم أقابله بعد ذلك الا الآن

(ينصرفان وهما آخذان فى مثل هذا الكلام)

* * *

المنظر الثانى

(فى التلفون)

رجل يعزى صاحبا له فى وفاة والده

١ ـ آلو . فلان ؟

٢ ـ نعم . أنا فلان !

١ ـ Condoliance

٢ ـ آلو ! آلو !

١ ـ Condoliance ! Condoliance

٢ ـ ماذا تقول ؟

١ ـ أقول ! ! Condoliance

٢ ـ لست أسمعك جيدا !

١ ـ ألم يتوف المرحوم والدك ؟

٢ ـ نعم مات .

١ ـ أنى أعزيك . البقية فى حياتك !

٢ ـ متشكر ياأخى . ابق الله حياتك !

١ ـ أنا تألمت جدا . ولكن هذا حال الدنيا !

٢ ـ أى نعم . ربنا يلهمنا الصبر !

١ ـ « شد حيلك » انت . والبركة فيك (برضو) !

٢ ـ بارك الله فيك . انا متشكر لسؤالك .

يوفر الزمن إذا هو التزم ألا يقول إلا جديداً فى المعنى ، وكيف يصل إليه من أقرب طريق

لو فعلنا ذلك لوفرنا على المجالس زمنها وتفكيرها ولوصلنا فى مسائلنا إلى نتائج خير مما نصل إليه الآن ، بل عندى أن السرعة مع الخطأ أحيانا خير من الابطاء الممل والتفكير الراكد مع الصواب دائما

احمد أمين

١ - العفو ياحبيبى !

ويضع السماعة فى ضجر وهو يقول :

جاتك داهية فى ابوك مطرح ماراح !

* * *

المنظر الثالث

(فى النادى)

جماعة من الاصحاب يجلسون حول منضدة يتحدثون :

١ ـ ألم يعد يأتى (فلان) الى النادى ؟ أنى لم اره هنا منذ زمان

٢ - اعوذ بالله من غضب الله ! أنا عارف إيه اللى فكرك (باللهو الخفى) ده دلوقت ؟

٣ ـ سبحان الله ياأخى ماتفهمش ليه أنا كمان ماأقبلوش الجدع ده ! أهو تجدنى اكرهه كده لله فى لله !

٤ ـ جات دا داهية فى غلاسته بعيد عنك !

١ ـ أه . افتكرنا القط جانا ينط !

٢ ـ اتفرج ياسيدى داخل نافش ازاى زى الديك الرومى

يقبل (فلان) ويدخل عليهم

الجميع ـ أهلاً . . . . . ن وسهلا فلان بك !

١ ـ اتفضل هنا .

(ويقدم له مقعد)

٢ - لا والله . تعال جنبى أنا هنا !

* * *

ايها القارىء :

صدقنى لقد حضرت هذه الاحاديث جميعها بنفسى . وسمعتها بأذنى . ولست اظنك الا سمعت لها أشباها ونظائر كثيرة . فأنا إنما أذكرك بها الآن لأهمس فى أذنك قبل ان أتركك :

« ماهكذا تكون (أحاديث الناس) الطيبين ! وخليق بذى الوجهين الذى يستقبل (الوجوه) بلسان ، ويشيع (الاقفية) بلسان آخر ، ان يعقد لسانيه ، ان كان لا يملك ان يتخلى عن أحد وجهيه ! »

حسن جلال

الروضـــة

بحث طريف لم ينشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

الروضة جزيرة بها مقياس النيل واقعة بين مصر القديمة والجزيرة ، وملخص تاريخها أنها من الجزر القديمة الحادثة قبل الفتح الاسلامى ولكن لايعلم زمن حدوثها . وبسبب قربها من قاعدة الديار المصرية وطيب هوائها وموقعها ظلت فى كل جيل مطمح أنظار الملوك والأمراء وذوى اليسار ، وتعاقب عليها حالان فكانت تارة تجعل حصناً للدولة وأخرى متنزها حاوياً للبساتين والدور والمساجد والحمامات كما يأتى .

الحصن القديم والحصن الطولونى : لما فتح الله على المسلمين مصر وملكوا الحصن الشرقى المعروف بقصر الشمع لجأ المقوقس وقومه الى حصن كان بهذه الجزيرة ، وبعد تمام الفتح خرب الأمير عمرو بن العاص بعض ابراجه وأسواره ثم نما عمرانها بعد ذلك فكانت فى ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر عامرة بالدور المشرفة على النيل من كل جهة ، وكان بها خمسمائة عامل معدة لحريق يطرأ أو هدم . وفى إمارة أحمد بن طولون بنى بها حصنا ليحرز فيه حرمه وماله وذخائره لما بلغه مسير موسى بن بغا من العراق قاصدا مصر ثم أهمل بعد الدولة الطولونية فاخذه النيل شيئاً فشيئاً . (١)

المختار والروضة : وكانت بها الصناعة (٢) لعمل السفن الحربية فلما تولى محمد بن طغج الاخشيد (٣) على مصر نقل الصناعة

---

(١) للقاضى ابى عمرو عثمان النابلسى كتاب عن هذا الحصن سماه حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة مفقود الآن فيما نعلم وقد ذكره المقريزي فى خططه ونقل عنه (انظر ج ا ص ٣٢٦ طبع بولاق) وذكره السيوطى فى كوكب الروضة فقال عنه « لم أقف عليه ولكن المقريزي ينقل عنه كثيرا »

(٢) الصناعة أو دار الصناعة المكان المعد لانشاء السفن وقد اقتبس الترك هذين اللفظين بعد تشويههما بالتحريف فقالوا (ترسانة) واقتبسها الافرنج بتشويه آخر فقالوا (أرسنال) Arsenal

(٣) طغج ضبطه ابن خلكان بضم الطاء وسكون الغين وفى مادة جفف فى شرح القاموس للزبيدي ان أهل المعرفة ضبطوه بضم الغين والطاء وتشديد الجيم . قلنا وهو الموافق للوزن فى قول أبي العلاء المعري فى اللزوميات

وأحسن منكم فى الرعية سيرة   طغج بن جف حين قام وبادس

وقول مهلهل بن يموت من قصيدة فى رثاء الاخشيد أوردها النويرى فى نهاية الأرب

ذاق موتاً محمد بن طغج   هو ليث الشري وغيث الغمام

الى ساحل الفسطاط وأنشا موضعها بستانا سماه المختار وبنى فيه قصراً وأماكن له ولغلمانه ، وكان يفاخر به أهل العراق ، وبقى بعده فكان يتنزه فيه المعز الفاطمى وابنه العزيز ، ثم فى أيام استيلاء الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى على وزارة الفاطميين وحجره على الخليفة أنشأ فى شمالى الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وبنى فيه المناظر البديعة ، فمن حينئذ عرفت الجزيرة كلها بالروضة وكانت تعرف فى أول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم بجزيرة الحصن (١) هذا قول عامة المؤرخين ، وقال ابن المتوج انما سميت بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها . وبعد قتل الأفضل بنى بها المامون البطائحى الوزير منظرة بقيت الى آخر الدولة الفاطمية ، ويذكر المؤرخون أنه بناها مكان الصناعة بعد ان نقل الصناعة الى مكانها القديم بالفسطاط ، ولا يخفى ان نقلها أول مرة من الجزيرة كان زمن الإخشيد كما تقدم ، ولم نرهم ذكروا انها أعيدت اليها ولا رأينا منهم من تنبه لذلك غير الامام السيوطى فى كوكب الروضة فانه علق على هذا الخبر بقوله ، وهو يدل على أن الصناعة أعيدت الى الروضة بعد أن نقلها الاخشيد الى ساحل مصر حتى نقلت ثانيا ،

الهودج : ولما تولى الآمر بأحكام الله الخلافة أنشأ بها قصرا على النيل بجوار البستان المختار سماه الهودج وأسكن به زوجته الغالية (٢) البدوية ، وسبب ذلك أنه كان مغرما بالجوارى العربيات فبلغه أن بصعيد مصر جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم جميلة شاعرة فأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها ، فلما نقلت الى القصر انقبضت نفسها من حيطانه واشتاقت الى تسريح طرفها فى الفضاء على ما اعتادته فبنى لها الهودج على شاطىء النيل بالجزيرة فى شكل غريب وصار يتردد عليه الى أن قصده فى رابع ذى القعدة سنة ٥٢٤ فلما بلغ رأس الجسر مما يلى الروضة وثب عليه قوم من النزارية (١) كانوا كامنين له هناك وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه فحمل الى منظرة اللؤلؤة (٢) بشاطىء الخليج وقد مات . قال ابن سعيد وقد أكثر الناس من ذكر الآمر والبدوية وابن عمها حتى صارت رواياتهم كأحاديث البطال (٣) وألف ليلة وليلة وما اشبه ذلك . فمما رووى عنها انها بقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الخليفة الآمر :

يا ابن مياح إليك المشتكى ... مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حي مطاعا آمرا ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد ... لأرى الاخيـــا ممسكا
كم تثنينا كأغصان النقا ... حيث لانخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى ... حيثما شاء طليق سلكا

فاجابها بقوله

بنت عمى والتى غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها ... لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الأمر اليه يشتكى ... هالك وهو الذى قد أهلكا
شأن داود غدا فى عصرنا ... مبدياً بالتيه ما قد ملكا

وبلغت الآمر الأبيات فقال لولا أنه أساء الأدب فى البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به . قال القرطبي وللناس فى طلب ابن مياح

وجاء به المتنبي مخففا فى قوله

حته على الاعداء من كل جانب ... سيوف بنى طغج بن جف القماقم

وقال العكبري فى شرحه طغج الأصل فيه ضم الغين وانما غيره على عادة العرب فى تغيير الاسماء الاعجمية

وأما الاخشيد فبكسر فسكون فكسر بلا خلاف وكان لقباً لملوك فرغانة فلما تولى محمد بن طغج على مصر وهو من ذريتهم سأل الخليفة الراضى تلقيبه به فأجابه الى ذلك

(١) كذا فى خطط المقريزي وغيرها وقد سماها المقريزي فى كلامه على الهودج (ج ١ ص ٤٨٥ طبع بولاق) بجزيرة الفسطاط أيضا ، وفى الانتصار لابن دقاق عن الكندى انها كانت تعرف قديماً بجزيرة الصناعة . قلنا وكانت تعرف فى زماننا بالنيل بفتح فسكون ففتح وهو اسم قرية بها غلب عليها كلها ثم عاد اليها اسم الروضة أخيراً لما أنشئت الجسور الثلاثة بينها وبين مصر القديمة والجيزة وأخذت الصحف تذكرها بهذا الاسم فشاع بين الناس

(٢) رسم اسمها فى بعض التواريخ بالعين المهملة

---

(١) هم القائلون بامامة نزار بن المستنصر الفاطمى وكان والده يريد العهد اليه فماطله وزيره الافضل ابن أمير الجيوش لبغضه له ولما مات المستنصر بايع ولده الصغير أحمد ولقبه بالمستعلى وفر نزار الى الاسكندرية واستولى عليها وانضم اليه واليها وقاضيها وبعض الامراء وبايعوه ثم انتهى أمره بالقبض عليه وحمله الى القاهرة وقتله بها بأمر أخيه المستعلى وتدبير الوزير ، وكان الحسن بن الصباح شيخ الاسماعيلية وهو المشهور لما حضر الى مصر واجتمع بالمستنصر سأله عن الامام بعده فقال ولدي نزار فلما عاد الى العراق نشر الدعوة النزارية فى تلك الارجاء بين الاسماعيلية وهو الذي أرسل هؤلاء النزارية لقتل المستعلى لاغتصابه الامامة من نزار وبنيه فلم يتمكنوا منه حتى مات فقتلوا ابنه

(٢) من مناظر الخلفاء الفاطميين بناها العزيز ثم هدمها الحاكم ثم أعادها ابنه الظاهر وكانت تطل من الغرب على الخليج ومن الشرق على البستان الكافوري وكان الخلفاء يتنقلون اليها فى أيام النيل وموضعها الآن الاماكن الواقعة جنوبي مسجد الشيخ الشعراني

(٣) طبعت هذه القصة بمصر بعنوان سيرة الاميرة ذات الهمة وولدها الامير عبد الوهاب والامير أبي محمد البطال .

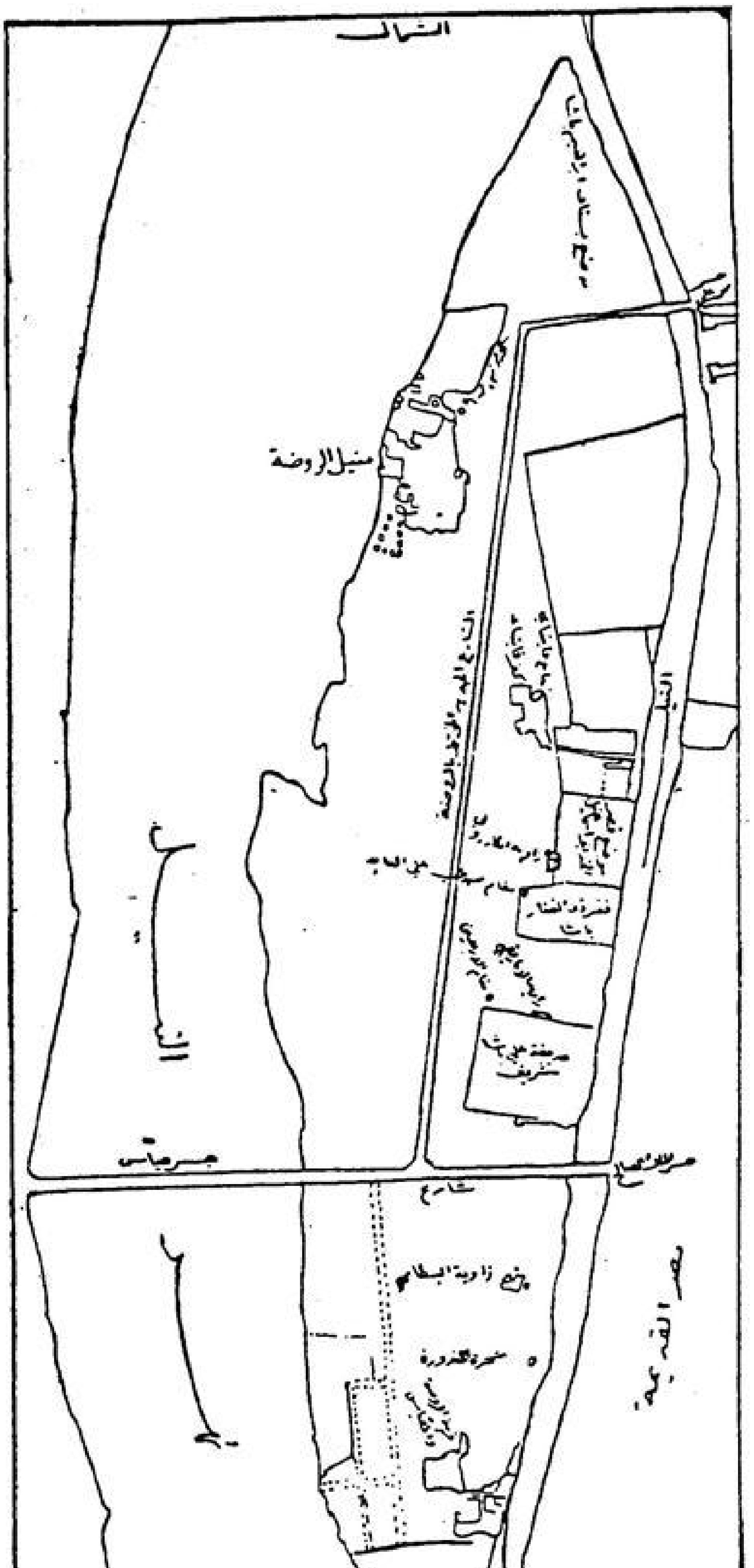
واختفائه أخبار تطول . وكان من عرب طىء فى عصر الامير طراد بن مهلهل ؛ فلما بلغته قصة الآمر مع الغالية قال :

ألا أبلغوا الآمر المصطفى مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الأكرمون؟ سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الآمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه فى أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد! باع أبيات الحى بثلاثة أبيات . وفى خطط المقريزى أن الهودج بقى متنزها للخلفاء الفاطميين بعد الآمر الى أن خرب وجهل مكانه بالروضة .

قلنا ما اشبه الليلة بالبارحة فقد وقع لوالى مصر عباس باشا الكبير المتولى سنة ١٢٦٤ مثل ماوقع للآمر فى بدئه ونهايته فانه كان مشغوفا باحدى البدويات أيضا فتزوجها وأسكنها قصرا فى ضاحية من القاهرة وصار يتردد عليه خفية ثم كانت نهاية أمره أنه قتل غيلة فى قصره بينها سنة ١٢٧٠ .قتله مملوكان من الجركس باغراء رجال الدولة العثمانية على ماقيل لأنهم آنسوا منه ميلا للخروج عن طاعتهم والاستقلال بمصر ، وقد أدركنا الناس فى مصر يلهجون بحديث البدوية ويروون فيه روايات شتى ، وسمعنا العامة يلوكون أغنية قيلت فى ذلك الزمن أولها (ياحالى ع البدوية) وقليل من أهل مصر الآن من يعرف هذا الخبر وهو من غريب مايتفق وقوعه لملكين فى مملكة واحدة .

القلعة الصالحية : وفى أواخر الدولة الأيوبية بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد قلعته بهذه الجزيرة وأنشأ بها الدور والقصور وغرس الأشجار وبنى بها جامعا وعمل لها ستين برجا وأنفق عليها اموالا جمة فعرفت بالقلعة الصالحية وبقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة واحتاج بسببها الى هدم أماكن كثيرة من دور وقصور ومساجد ليدخلها فيها وخرب الهودج والمختار ، ويقال إنه قطع من الموضع الذى أنشأها فيه ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى لملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه ، ولما كملت جعلها مقر ملكه وسرير سلطانه وأسكن بها جنوده البحرية (١) وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الاقوات خشية محاصرة الافرنج فانهم كانوا حينئذ عازمين على قصد البلاد المصرية . وكان سور هذه القلعة الشرقى مطلا على فرع النيل الشرقى الذى بين الجزيرة ومصر وكان بها الايوان الملكى العديم المثال ، وفيها يقول ابن سعيد الأندلسى . وكنت اشق فى بعض الليالى



مصور الروضة

بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء .

(١) كان منهم بعد ذلك ملوك الدولة التركية البحرية التى خلفت الايوبية ولقبوا بالبحرية لسكناهم فى النيل فى هذه القلعة

وأبصرت فى هذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الابنوسي والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تتقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر ، وقد تفرجت كثيراً فى طرف هذه الجزيرة مما يلى بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات ، لم تزل لأحزان الغربة مذهبات ، انتهى . واستيعاب ماقيل فى محاسن هذه القلعة يطول ويخرج بنا عن المقصود

ولما ملك المعز أيبك التركمانى أول ملوك الدولة التركية البحرية أمر بهدم هذه القلعة ليعمر منها مدرسته المعزية واقتدى به ذوو الجاه فأخذوا كثيرا من سقوفها وشبابيكها وغيرها ، ثم لما ملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم باعادتها كما كانت فأصلح بعض ماتهدم منها ، ولما تولى المنصور قلاوون نقل منها مايحتاج اليه فى بناء البيمارستان والقبة المنصورية ، ثم نقل منها ابنه الناصر محمد ما احتاج اليه فى أبنيته فدب اليها الخراب الى أن ذهبت كأن لم تكن . قال المقريزى وبقى من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل . قلنا أما موضعها بالروضة فقد صرح ابن اياس (ج ١ ص ٨٣) أنها بنيت بالقرب من المقياس أى فى الجهة الجنوبية للجزيرة ، ونقل الامام السيوطى فى كوكب الروضة فى كلامه على جامع الريس المعروف اليوم بزاوية البسطامى نصوصا من التوقيع الذى كتبه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير لمنشئه يعلم منها ان هذا المسجد بنى موضع برج الطراز أحد أبراج هذه القلعة . وقال ابن دقماق فى الانتصار بناه الرئيس صدقة على أول برج من أبراج قلعة الروضة . وذكر السيوطى أيضا فى كلامه على جامع المقياس المعروف اليوم بجامع عبد الرحمن بن عوف ان الملك الصالح عمره بقلعة الروضة ونرى فى المصور الملحق بهذه المقالة أن كلا المسجدين فى الجهة الجنوبية من الجزيرة . وقد ظهر لنا من هذا ومما استخلصناه من اقوال غيرهم من المؤرخين ان هذه القلعة كانت فى الثلث الجنوبى للجزيرة آخذة من مقياس النيل فى المواضع الشمالية منه الى زاوية البسطامى الواقعة فى موضع برج الطراز أول برج من أبراجها من الشمال وأنها كانت مطلة من الشرق والغرب على فرعى النيل الصغير والكبير ، ومما يدل ايضاً على إشرافها على النيل من الجانبين قول ابن سعيد الاندلسى فى وصفها « وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب محى الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلألأ والنيل قد انقسم عليها فقلت :

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غيبة (١) كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها فمد يمينا نحوها وشمالا

فانه أبان بتشبيهه ماء النيل بالهلال عن استدارته بطرفها الجنوبى ، ثم أبان عن امتداده فى جانبيها بتشبيهه بمشوق يعانقها باليمين والشمال . واذا عرفنا ذلك وعرفنا فيما تقدم ان المختار والهودج كانا مطلين على النيل وان الملك الصالح خربهما ليدخلهما فى القلعة كسائر ماخربه من الاماكن ، تبين لنا أنهما كانا فى الجهة الجنوبية أيضاً . والغالب على الظن انهما كانا على الفرع الكبير للنيل الذى بين الجزيرة والجيزة أى فى أحد المواضع الواقعة بين المقياس وجسر عباس لأن المختار أنشئ موضع الصناعة ويستبعد ان تكون الصناعة على الفرع الصغير الشرقى .

قصر نجم الدين : ذكر الفرنسيس فى كتابهم وصف مصر (ج ٥ ص ٤٥٠ و ٤٦٥) انهم أدركوا زمن الاحتلال بقايا قصر بالمقياس ملاصق له من الشرق ومطل على الفرع الشرقى للنيل يعرف بقصر السلطان الملك الصالح نجم الدين (٢) ولم يكن باقياً منه وقتئذ غير قاعة كبيرة تتصل بها عدة أماكن أكثرها خرب ، وهو بلاريب من قصور القلعة الصلاحية ، ولعل الذى حفظه من الدثور عناية الدول فى كل جيل بالمقياس وأبنيته ، ولكن يظهر لنا أن الذى أدركوه منه لم يكن من الأبنية الصلاحية القديمة بل كان مما جدده فيه السلطان الغورى من القاعات والاماكن . ومما يذكر عن هذا القصر نزول السلطان سليم العثمانى به مدة مقامه بمصر فانه لما تم له فتحها وصفا له الوقت بعد قتل السلطان طومان باى استطاب السكنى بالروضة فانتقل اليها ونزل بالمقياس . قال ابن اياس فى حوادث ربيع الثانى من سنة ٩٢٣ هـ « وفى يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى الى المقياس وكان فى ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد يغرق ، فلما سلم من الغرق أقام بالمقياس ونقل وطاقه (٣) الى الروضة ومصر العتيقة ، ثم ان

---

(١) كذا فى نسختين من كوكب الروضة للسيوطى والذى فى نسخ خطط المقريزي (من بعد غاية)

(٢) جاء فى كتاب الفرنسيس انه (الملك الصالح نجم الدين بن الملك العادل) وهو خطأ صوابه الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل

(٣) الوطاق محرف عن أوتاق أو أوتاغ وهو فى التركية الخيمة الكبيرة التى للعظماء والمراد هنا مخيم السلطان وحاشيته وحرسه .

أمراءه طردوا السكان الذين بالروضة وبمصر العتيقة وسكنوا فى دورهم فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام (١) . ثم إنه أنشأ منظرة من خشب فوق المقياس جعل اقامته بها وهى التى سماها ابن أياس بالقصر(٢) فقال عنها فى حوادث جمادى الثانية من هذه السنة « وفيه أشيع أن السلطان سليم (٣) شاه أنشأ له قصراً من خشب بالمقياس من فوق القصر الذى أنشأه السلطان الغورى فوق بسطة المقياس وصار يجلس به فى اليوم الحر وأحضر جماعة من النجارين والبنائين وشرع فى بنائه حتى فرغ منه فى أيسر مدة » . قلنا وفى هذه المنظرة حاول (قانصوه العادلى)أحد أمراء الجراكسة قتله انتقاما لطومان باى وقومه ذكر ذلك ابن زنبل الرمال فى تاريخ فتح السلطان سليم لمصر فقال معبراً عن هذه المنظرة بالطيارة (٤) « فدبر فى نفسه أن يلبس مثل العرب ويأخذ معه جماعة من أهل القوة وينزل الى مركب ليلا ويسيرها تحت المقياس ويجعل له سلم تسليم ويصعد عليه وينزل الى داخل المقياس ويقتل السلطان سليما ويأخذ بثار قومه وما علم أن الحى ما له قاتل (٥) ثم إنه فعل ذلك حتى وصل الى الطيارة التى فوق المقياس وهى محل السلطان فوجد الحراس مستيقظين» الخ وعبرعنها الاسحاقى فى تاريخه بالكشك متابعة للأتراك فقال « وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهومشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ، ولما رحل السلطان سليم منه أقفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم » . وروى قطب الدين الحنفى فى تاريخ مكة المسمى بالاعلام أنه رأى بيتين من الشعر كتبهما السلطان سليم بخطه على رخامة بهذا (الكوشك) مدة مقامه به فقال « ورأيت بيتين بالعربى بخطه الشريف كتبهما فى علو المقياس فى (الكوشك) الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وقد انمحى لطول الزمان مداده ، ومال الى لون البياض سواده ، وكان هذا (الكوشك) محترما مقفلا لا يصل اليه احد لعظمة بانيه ، ولا يبتذل بالدخول اليه تعظيما لراعيه ، فلما قدمت مصر فى سنة ٩٤٣ وكان يوم كسر النيل السعيد فتحوا هذا الكوشك لبكلربكى (   ) مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلمه مولانا عبد الكريم العجمى فطلع وأطلعنى معه فى صحبة خسرو باشا المذكور فرايت مكتوبا على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل ، هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل غنى   يردُده قسراً ويضمن منه ما ادركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة   فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وتحتهما ما صورته (كتبه سليم (٢)) بذلك الخط وذلك القلم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البداعة ، ونهاية التمكن من الصناعة ، فيدل على تمكنه رحمه الله أيضا فى اللسان العربى لأنهما من أعلى طبقات الشعر العربى الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة عالية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار لفهم الأشعار العربية والذوق لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك» انتهى . قلنا البيتان

---

(١) كانت اقامته بالروضة من هذا التاريخ الى ١٦ رجب من هذه السنة وقد سافر في خلال هذه المدة مرة الى الاسكندرية ثم عاد الى الروضة ثم انتقل الى دار في بركة الفيل ثم رحل الى القسطنطينية .

(٢) و (٤) ما زالت العامة بمصر تطلق القصر على العلية الممتازة بالعلو والانفراد عن حجر الدار كما عبر ابن اياس وكثيراً ما يستعمل لها المؤلفون الطيارة كما في قول ابن سعيد الاندلسي في وصف الفسطاط لما ورد مصر « وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل » والعامة الآن تطلق الطيارة على عريش يرفع على خشبات لحارس البيدر ويرادفها في هذا المعنى من الفصيح الفنزر بفتح فسكون ففتح وقد استوفينا الكلام على هذه الكلمة وما استعملت فيه في معجم العامية المصرية أعاننا الله على اتمامه .

(٣) لم ينونه اما تساهلا واما لعده مع الذي بعده مركباً تركيباً مزجياً .

(٥) مثل معروف عند العامة بمصر الى الآن وذكره الجبرتي في ترجمة كجك محمد المتوفي سنة ١١٠٦ فقال « واتفق ان احمد البغدادلى أقام مدة يرصد المترجم بمر من عطفة النقيب ليضربه ويقتله الى أن صادفه فضربه بالبندقية من الشباك فلم تصبه وكسرت زاوية حجر وأخبروه أنها من يد البغدادلي فأعرض عن ذلك وقال الرصاص مرصود والحي ماله قاتل » .

(١) يرسمه الأتراك بواو بعد الكاف هكذا (كوشك) وهو يضم الكاف وسكون ما بعدها أى باجتماع ثلاثة سواكن ومعناه عندهم المنظرة تتخذ من الخشب أو البناء فى البساتين والمتنزهات وقد يطلقونه على القصر الصغير وعربه العرب بالجوسق بفتح فسكون ففتح

(٢) من الرتب العثمانية ومعناه أمير الامراء وكان ولاة مصر العثمانيون من أصحاب هذه الرتبة عادة وقد يكونون فى بعض الأحيان من الوزراء .

(٣) كذا فى ثلاث نسخ من الاعلام وقد نقل الاسحاقى فى تاريخه هذا الخبر عن هذا الكتاب فجاء به (كتبه الفقير سليم) بزيادة لفظ الفقير وفى صحائف الاخبار لرئيس المنجمين المولى أحمد درويش الذي ترجمه الى التركية احمد نديم الشاعر ان الذي كتبه السلطان تحت البيتين (خادم الفقراء سليم)

معروفان لأبى العلاء المعرى فى لزوم ما لا يلزم وصحة العجز فى البيت الأول (يردده قسرا وتضمن نفسه الدركا) ، واما القصر وما يتبعه من الأبنية فلم يبق لها أثر ودخلت كلها فى قصر حسن باشا المناسترلى وحديقته .

الجزيرة فى حكم الأسرة المحمدية العلوية :

فى زمن العزيز محمد على أنشأ ولده العزيز ابراهيم فى خرطوم الجزيرة الشمالى بستانا كبيرا جلب له الأشجار الغريبة من البلاد البعيدة وبنى به منظرة عالية ومغارة مجللة بالودع ، وقد أدركنا بقايا ذلك . وكان من مزايا هذا البستان احتواؤه على أنواع كثيرة من الاشجار والنباتات المحتاج اليها فى الطب ، ومن طالع كتاب المادة الطبية للرشيدى المسمى عمدة المحتاج (١) يرى عجبا مما كان فيه من هذه الانواع ، وكان قصد العزيز ابراهيم رحمه الله الاستغناء بها عن جلب العقاقير من البلاد الافرنجية بقدر المستطاع .

وقد أنشأ أمراء ذلك العصر وسراته القصور والبساتين الأنيقة بالجزيرة ، وكان للخديو اسماعيل بن العزيز ابراهيم قصر بديع فى وسطها على الشاطىء الشرقى تحيط به حديقة غناء ثم أهملت من بعدهم وهجرت فدب اليها الخراب وادركناها جميعها وهى خاوية على عروشها ، وانحط شان الجزيرة الى ان أنشئت فيها الجسور الثلاثة : جسر محمد على ، وجسر الملك الصالح بينها وبين مصر القديمة ، وجسر عباس بينها وبين الجيزة ، فعاد اليها الانتعاش وأقبل الناس على البناء بها فهدمت قصورها وبيعت أراضيها قطعا وامتلأ الثلث الجنوبى بالدور الصغيرة والكبيرة ولكن على الطراز الأفرنجى الجديد وقطع ما كان بها من الشجر والنخل وحطمت عروش الكروم فعريت من الظلال وزالت عنها مسحة الملاحة القديمة بعد أن كانت ببساتينها وحقولها قرة للعيون وفرجة للمحزون . ؟

---

(١) عمدة المحتاج فى على الادوية والعلاج للسيد أحمد بن حسن الرشيدي الطبيب النطاسى المتوفى سنة ١٢٨٢ طبع فى بولاق سنة ١٢٨٣ فى أربعة أجزاء كبيرة ثم عمل له السيد حسين عودة الطبيب بدمشق وأحد تلاميذ مدرسة الطب المصرية فهرسا مغنيا فى جزء لطيف طبع سنة ١٢٨٨ وكانت وفاته سنة ١٣٣٢ عن نحو ثمانين سنة .

أبو عبـــد الله

آخر ملوك الأندلس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

مأساة شهيرة فى التاريخ الاسلامى ، هى مصرع غرناطة آخر معقل للاسلام بالاندلس ، وشخصية محزنة هى شخصية آخر ملك أندلسى مسلم ، طويت على يده تلك الصفحة المجيدة الباهرة التى افتتحها موسى وطارق فى تاريخ الاسلام باسبانيا قبل ذلك بثمانية قرون

لبث الاسلام فى اسبانيا خلال هذه القرون الثمانية يغالب النصرانية وتغالبه ، والاسلام مذ انهار صرح الدولة الاموية دائم الخلاف والتفرق ، سائر أبدا فى طريق الضعف والانحلال ؛ والنصرانية تجتمع دائما على غزوه ونضاله ، وتنتزع منه تباعا قواعده وثغوره ، حتى إذا جاء القرن الثامن لم يبق من دولة الاسلام الشامخة بالأندلس سوى مملكة غرناطة الصغيره ، تواجه وحدها داخل الجزيرة عدوها القوى . وسطعت هذه الاندلس الصغيرة مدى حين ، ولكنها لم تنج من خطر التفرق ؛ واسبانيا النصرانية أثناء ذلك متربصة بها تكاد تلتهمها من وقت الى آخر ، لولا أن كانت صولة الاسلام فى الضفة الأخرى من البحر – فى المغرب الاقصى – تروعها وتردها . وكانت مملكة غرناطة كلما تبينت شبح الخطر الداهم تستغيث بجارتها المسلمة القوية فيما وراء البحر ، دولة بنى مرين . ولكن بنى مرين لم يستجيبوا دائما الى دعوة الاسلام المحتضر بالأندلس ، وكانت لهم أحيانا مطامع ومشروعات فى الأندلس ذاتها . وكانت اسبانيا النصرانيه كلما استيقنت تصرم العلائق بين الشقيقتين انقضت على الأندلس فاقتطعت منها ثغرا أو قاعدة جديدة . وكان رجالات الأندلس يستشفون من وراء ذلك خطر الفناء المحقق ؛ بل لقد استشعر به ابن الخطيب وزير الأندلس وكاتبها الكبير قبل تحققه بأكثر من قرن ، وصرح به فى إحدى رسائله إلى ملك فاس اذ يدعوه إلى غوث الأندلس ونجدتها ويقول : « ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة

تأميلكم أو أعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه » (١)

وهكذا نرى الأندلس منذ أوائل القرن التاسع الهجرى تسير بسرعة فى طريق الانحلال والفناء، حتى إذا كانت أواخر هذا القرن لم يبق للاسلام فى أسبانيا سوى مملكة غرناطة الصغيرة وفيها مدن وثغور قلائل تتربص بها النصرانية وتعد العدة لسحقها

وكان على عرش غرناطة يومئذ السلطان أبو الحسن على بن سعد النصرى الاحمرى . ولى الملك سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) ، ولكنه لم يستخلص الملك لنفسه إلا بعد نضال عنيف بينه وبين منافسيه وعلى رأسهم أخوه أبو عبدالله المعروف « بالزغل » . وكانت الحرب الاهلية تضطرم فى مملكة غرناطة كلما لاحت فرصة للتنازع على العرش . فلما استقر أبو الحسن فى عرشه ، أبدى همة فائقة فى تحصين المملكة وتنظيم شئونها ، وبث فيها روحا جديدا من البأس والطمأنينة ، واستطاع ان يسترد عدة من الحصون والقواعد التى افتتحها النصارى ، ولاح للنصرانية أن الأندلس المحتضرة تكاد تبدأ حياة جديدة . بيد أن هـــذا البعث الخلاب لم يطل أمده . ذلك أن عوامل الخلاف الخالدة عادت تعمل عملها ، وبذر أبو الحسن حوله بذور السخط والغضب بما ارتكبه فى حق الأكابر والقادة من العسف والشدة ، وبما اغرق فيه من صنوف اللهو والعبث . وكان أبو الحسن قد اقترن بالأميرة عائشة ابنة عمه السلطان أبى عبد الله الأيسر ، ورزق منها ولدين هما محمد ويوسف . ولكنه عاد فاقترن بنصرانية رائعة الحسن تعرف فى الرواية العربية « بثريا الرومية » . وتقول الرواية الاسبانية إن « ثريا » هذه كانت ابنة عظيم من عظماء اسبانيا هو القائد (سانكو كنيس دى سوليس) وأنها أخذت أسيرة فى بعض المعارك وهى صبية فتية ، وألحقت وصيفة بقصر الحمراء ، فهام أبو الحسن بجمالها حبا ، ولم يلبث أن تزوجها واصطفاها على زوجه الأميرة عائشة المعروفة « بالحرة » تمييزا لها من الجارية الرومية أو إشادة بعفتها وطهرها (٢) ولم يكن اقتران السلطان بنصرانية بدعة ، ولكنه تقليد قديم فى قصور الأندلس ، وقد ولد كثير من خلفاء الأندلس وأمرائها العظام من أمهات من النصارى مثل عبد الرحمن الناصر وحفيده هشام المؤيد . وكان لهذا التقليد أثره السىء فى انحلال عصبية الدولة الاسلامية ، بيد انه كان أشد خطرا وقت الانحلال العام . وكان وجود أميرة أجنبية فى قصر غرناطة تستأثر بالسلطان والنفوذ فى هذا الظرف العصيب ، عاملا جديدا فى إذكاء عوامل الخصومة والتنافس . ذلك لأن « ثريا » أعقبت من السلطان أبى الحسن ولدين ، وأرادت أن يكون العرش لأحدهما ، وبذلت كل ما استطاعت من الاغراء والدس لابعاد خصيمتها الأميرة عائشة عن كل نفوذ وحظوة ، وحرمان ولديها محمد ويوسف من كل حق فى الملك ، وكان أكبرهما محمد ولقبه أبو عبد الله ولى العهد المرشح للعرش ، فنزل أبو الحسن عند سعى حظيته وأقصى عائشة وولديها عن عطفه ورعايته : ولا زالت ثريا فى سعيها ودسها حتى اعتقلهم أبو الحسن فى أحد أبراج الحمراء وضيق عليهم وأخذ يعاملهم بمنتهى الشدة والقسوة ، فأثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية وولديها بعطفهم وتأييدهم ، وانقسم القصر وانقسم الزعماء والقادة إلى فريقين خصيمين ، واضطرمت الاهواء والشهوات والأحقاد ، واشتد السخط على أبى الحسن وحظيته التى أضحت سيدة غرناطة الحقيقية ، واستأثرت بكل سلطة ونفوذ

وكانت الاميرة عائشة امرأة وافرة العزم والشجاعة فلم تستسلم إلى قدرها الجائر ، بل عمدت إلى الاتصال بعصبتها وأنصارها ، وأخـــذت تدبر معهم وسائل الفرار والمقاومة . وفى ذات ليلة استطاعت أن تفر من الحمراء مع ولديها محمد ويوسف بمعاونة بعض الاصدقاء المخلصين . وتقدم الرواية إلينا عن هذا الفرار صورا شائقة ، فتقول إن الامـيرة استعانت بأغطية الفراش على الهبوط من نوافذ البرج الشاهق فى جوف الليل ، وأبدت فى ذلك من الجرأة والشجاعة ما يخلق بأبطال الرجال . وكان ذلك فى ليلة من ليالى جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) . واختفى الفارون حيناً حتى قويت دعوتهم وظاهرهم فريق كبير من أهل غرناطة ، وظهر الامير الفتى محمد أبو عبد الله فى وادى آش حيث يجمع عصبته وأنصاره ونشبت الثورة وانقضت العاصفة على أبى الحسن ، وكانت عصبته أقلية ففر إلى مالقة وكان بها وقتئذ أخوه الامير أبو عبد الله محمد

---

(١) المقري فى أزهار الرياض - (تونس) ص٥٦

(٢) راجع I. rving : Conquest of Granada: حيث يورد أقوال الرواية الاسبانية عن شخصية ثريا (الفصل التاسع) . ولكن الرواية العربية لاتذكر إلا أن «ثريا» كانت جارية رومية - راجع المقري فى نفح الطيب « ج ٢ ص٦٠٨ » وأخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر « طبعة ميلر » ص٦ - ويتفق بر سكوت مع الرواية العربية Hist - of Ferdinand and Isabella P.219

ابن سعد (المعروف بالزغل) يدافع عنهـا جيشا جرارا من النصارى سيره ملك قشتالة (فرديناند الخامس) لافتتاحها . وجلس أبو عبد الله محمد بن السلطان أبى الحسن مكان أبيه على عرش غرناطة (أواخر سنة ٨٨٧ هـ) وأطاعته غرناطة ووادى آش وأعمالهما وبقيت مالقة وغرب الاندلس على طاعة أبيه . وكان أبو عبد الله يومئذ فتى فى نحو الخامسة والعشرين

وكان ملك قشتالة يرقب سير الحوادث فى مملكة غرناطة بمنتهى الاهتمام . فلما اضطرمت بنار الحرب الأهلية ولاحت له فرصة الغزو والفتح ، سير جيشه الى مالقة لافتتاحها ولكن المسلمين تأهبوا لرد النصارى بعزم وقوة وهزموهم فى عدة مواقع فيما بين مالقة وبلش (فيليز Velez) وهزم النصارى فى ظاهر مالقة هزيمة ساحقة وقتل وأسر منهم عدة آلاف بينهم عدة من الزعماء والاكابر (صفر ٨٨٨ هـ — مارس ١٤٨٣ م) وكان منظم هذا الدفاع الباهر الامير أبو عبد الله « الزغل » فانتعشت آمال المسلمين نوعا وسرت الحماسة إلى غرناطة واعتزم ملكها الفتى أن يحذو حذو عمه الباسل فى الجهاد والغزو وأن ينتهز فرصة اضطراب النصارى عقب الهزيمة، فخرج فى قواته فى ربيع الاول من هذا العام (ابريل ١٤٨٣) متجهاً نحو حصن قرطبة شمال شرقى غرناطة ؛ واجتاح فى طريقه عدداً من الحصون والضياع ، ومزق النصارى فى عدة معارك محلية ؛ ثم ارتد مثقلا بالغنائم يريد العودة فأدركه النصارى فى ظاهر قلعة اللشانة (لوتشينا Lucena) وكان يزمع حصارها : ونشبت بين الجيشين معركة هائلة ارتدفيها المسلمون إلى ضفاف شنيل والنصارى فى اثرهم ، فهزم المسلمون هزيمة شديدة وغرق كثير منهم فى شنيل . وقتل وأسر كثير من قادتهم وفرسانهم ، وكان بين الاسرى السلطان أبو عبد الله محمد نفسه ، عرفه الجند النصارى من الاسرى أو عرفهم بنفسه خشية الاعتداء عليه وأخذوه إلى قائدهم الكونت كابرا ، فاستقبله بحفاوة وأدب وأنزله بأحد الحصون القريبة تحت رقابة حرس قوى ، وأخطر فى الحال ملكى قشتالة بالنبأ السعيد ؛ وعاد المسلمون إلى غرناطة دون ملكهم ، فارتاعت غرناطة للنكبة واضطرب الشعب ؛ واجتمع الكبراء والقادة وقرروا استدعاء أبى الحسن السلطان المخلوع ليجلس على العرش . ولكن أبا الحسن كان قد هدمه الاعياء والمرض وفقد بصره ولم يستطع أن يضطلع طويلا بأعباء الحكم ، فنزل عن العرش لأخيه محمد أبى عبدالله « الزغل » حاكم مالقة وارتد الى المنكب فأقام بها حينا حتى توفى ، وجلس « الزغل » على العرش يدير شئون المملكة وينظم الدفاع عن أطرافها

أما السلطان أبو عبدالله بن أبى الحسن فلبث يرسف فى أسره عند النصارى وأدرك ملك قشتالة فى الحال ماللأمير الأسير من الأهمية ، وأخذ يدبر افضل الوسائل للاستعانة به فى تحقيق مآربه فى مملكة غرناطة . وبذل أبوالحسن حين عوده إلى العرش مجهودا لافتداء ولده لا حبا فيه وشفقة عليه ، ولكن لكى يحصل فى يده ويأمن بذلك شره ومنافسته ؛ وعرض على فرديناند نظير تسليمه أن يدفع فدية كبيرة وأن يطلق عددا من أكابر النصارى المأسورين عنده فأبى فرديناند وآثر أن يحتفظ بالأسير الى حين ، وبذلت الاميرة عائشة من جهة أخرى مجهوداً آخر لانقاذ ولدها بمؤازرة الحزب الذى يناصره ، واقترحت على ملك قشتالة معاهدة خلاصتها أن يتولى أبو عبد الله الملك فى طاعة ملك قشتالة، وأن يدفع له جزية سنوية ، وأن يطلق كل عام عدداً معينا من النصارى ، وأن يدفع مقابل إطلاقه فدية كبيرة وأن يفرج فى الحال عن أربعمائة من أسرى النصارى يختارهم ملكهم ، وأن يقدم المعاونة العسكرية كلما طلبت إليه ، وأن يقدم ابنه الوحيد كفالة مع عدد من أبناء الأسر الكبيرة(١) ومع أن عقد هذه المعاهدة كان خطوة كبيرة فى سبيل القضاء على مملكة غرناطة ، فان فرديناند رأى قبل عقدها أن يستغل أسر ملك غرناطة وأن يستعين به على تنفيذ برنامجه الحربى . وكان أبو عبدالله (٢) أميرا ضعيف العزم والارادة ، قليل الحزم والخبرة ، كثير المطامع والأهواء ، ولم يكن يتمتع بشىء من تلك الخلال الباهرة التى امتاز به أسلافه وأجداده العظام بنو الأحمر ، وكان الملك والحكم غايته يبتغيها بأى الاثمان والوسائل . وقد ألفى ملك قشتالة القوى فى ذلك الأمير الضعيف المستهتر بحقوق أمته ودينه ، أداة صالحة يوجهها كيفما شاء ، فاتخذه وسيلة لبث دعوته بين أنصاره ومؤيديه فى غرناطة وغيرها ، وليقنع المسلمين بأن الصلح مع ملك قشتالة خير وأبقى ، وسير ملك قشتالة فى الوقت نفسه قواته فى أنحاء مملكة غرناطة لكى تنتزع أثناء الاضطراب العـام كل ما يمكن انتزاعه من القواعد والحصون الاسلامية ، فاستولت

(١) برسكوت — ص ٣٣٤ — وايرفنج (الفصل التاسع عشر)

(٢) نرى أن نشير هنا إلى أن أبا عبدالله يعرف فى الرواية القشتالية والافرنجية عامة باسم « بوبديل » Boabdil وهو تحريف لابي عبد الله

على عدة منها ، ونشبت من جهة أخرى فى غرناطة حرب أهلية لم تكن بعيدة عن وحى أبى عبدالله وحزبه ، وقامت (البيازين) ضاحية غرناطة بدعوته ، وشغل ملك غرناطة (أبوعبدالله الزغل) باخماد الثورة عن مقاتلة النصارى . وفى نفس هذه الآونة العصيبة أطلق فرديناند سراح أبى عبدالله بعد ان ارتضى عقد المعاهدة التى عرضت عليه مع تعديل يسير فى بعض نصوصها ، وبعد لقاء تم بين الملكين فى قرطبة أعلن فيه أبو عبدالله خضوعه وطاعته لملك قشتالة ، واتفق ان تكون الهدنة لعامين وأن تطبق فى جميع الأنحاء التى تدين بالطاعة لأبى عبدالله . وظهر أبو عبدالله يبث دعوته فى الأنحاء الشرقية والحرب الاهلية قائمة فى غرناطة (اوائل سنة ٨٩١هـ-١٤٨٦م) وبدأت المفاوضة بينه وبين عمه (ملك غرناطة) فى الصلح . ولكن حدث أثناء ذلك أن هاجم النصارى مدينة لوشة جنوب غربى غرناطة واستولوا عليها (جمادى الاولى سنة ٨٩١ هـ) وكان موقف أبى عبدالله أثناء هذه الحوادث مريبا ؛ وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة ، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه ، ولم يكن خافيا أنه يستظل بمظاهرة النصارى (١) وفى شوال سنة ٨٩١ ظهر أبوعبدالله فى (البيازين) فجأة واجتمع حوله أنصاره ، واعلن الثورة على عمه ؛ ونشبت بينهما الحرب فى ظاهر غرناطة ، وأمد فرديناند حليفه أبا عبد الله بالجند والذخائر والمؤن . واستمر القتال بينهما مدى أشهر . وفى ربيع الثانى سنة ٨٩٢ (١٤٨٧ م) سير فرديناند قواته الى بلش مالقة (فلايز مالاجا) الواقعة على مقربة من ثغر مالقة لينتزعها تمهيدا للاستيلاء على مالقة ، وأدرك أبو عبد الله الزغل أهمية بلش الحربية فهرع إلى الدفاع عنها مع بعض قواته ، وترك البعض الآخر لقتال أبى عبدالله وأهل البيازين ولكن إقدام الزغل وعزمه وشجاعته لم تغن شيئا ، وسقطت بلش فى يد النصارى (جمادى الاولى ٨٩٢ - ابريل ١٤٨٧) وعاد الزغل بجنده ميمما صوب غرناطة ، ولكنه علم أثناء مسيره أن غرناطة قامت أثناء غيابه بدعوة أبى عبدالله ، وأنه دخلها وتبوأ العرش مكانه (جمادى الأولى) ، فارتد بصحبه إلى وادى آش وامتنع بها ، وانقسمت بذلك مملكة غرناطة الصغيرة إلى شطرين يتربص كل منهما بالآخر : غرناطه وأعمالها ويحكمها أبو عبدالله محمد ، ووادى آش وأعمالها ويحكمها عمه أبو عبدالله الزغل ، وتحقق بذلك ما كان يبتغيه ملك قشتالة من تمزيق شمل البقية الباقية من دولة الاسلام بالاندلس تمهيداً للقضاء عليها ؟

« للبحث بقية »

(١) راجع اخبار العصر ص ٢٢ و ٢٣ — والمقري ج ٢ ص ٦١٢

أطلنطس (ATLANTIS)

القارة المفقودة !

للدكتور محمد عوض محمد

فى زعم طائفة من الكتاب أن المحيط الاطلسى الشمالى لم يكن فى جميع العصور بحراً خالصاً ، بل كانت تحتله قارة عظيمة تصل مابين العالم القديم والعالم الجديد . وهذا الزعم هو ما نريد أن نعرض له فى هذا المقال .

من أهم ما يمتاز به المحيط الأطلسى — فى وقتنا هذا — نه قليل الجزر . فاذا صرفنا النظر عن الجزائر الملاصقة للسواحل ، مما يعـــده الجغرافيون جزءاً متمما للقارات ، فان هذا المحيط عبارة عن مساحة هائلة من المـاء ، ليس فيها من الجزر سوى الشىء القليل جداً .

هذه حالة المحيط اليوم ، لكن هذه لم تكن حالة المحيط فى كل عصر وزمن . فان تعاقب المـاء واليابس على الجزء الواحد من سطح الأرض ، من الحقائق الجيولوجية المسلم بها . وليس هنالك خلاف فى أن أمريكا الشمالية كانت متصلة بأوربا ، وأمريكا الجنوبية بأفريقية فى زمن جيولوجى قديم .

غير أن القائلين بوجود جزيرة عظيمة أو عدة جزر كبيرة فى وسط المحيط الأطلسى ما بين ما هو اليوم أمريكا ، وبين ما هو اليوم أوربا وافريقية ، أطلقوا عليها اسم قارة اطلنطس — هؤلاء الكتاب يزعمون أن هذه القارة لم تكن موجودة فى زمن جيولوجى قديم ، يرجع إلى ملايين السنين ، بل إلى عهد حديث جداً ، عهد نشاة الانسان واستعماره لسطح الارض . ولقد يسرف بعضهم فيزعم أن هذه (القارة) كانت موجودة قبل العصر التاريخى ، بحيث كان المصريون القدماء يعلمون من أمرها الشىء الكثير .

من المهم إذن أن نقرر أن الاتصال بين شرق المحيط وغربه فى زمن جيولوجى قديم ، ليس موضع البحث ، وليس هو بالأمر الذى يعنى به هؤلاء الكتاب ، بل الذى يعنيهم وجود اليابس فى هذه المساحة العظيمة التي لانرى فيها اليوم سوى المـاء ، وذلك فى عصر

حديث شهده الانسان فى أول نشأته .

والآن نتساءل : هل هناك من شاهد على صحة ماذهب إليه أولئك الكتاب ؟

قبل أن نعرض لآراء أصحاب هذا المذهب يحسن بنا أن نكون على حذر من أمرين : أولهما أن وجود هذه القارة أمر يرتاح اليه الخيال البشرى المولع دائما بالغريب المدهش من المسائل العلمية : وكثير من الكتاب فى هذا الموضوع يبدأون بحثهم وفى نفوسهم رغبة فى أن يثبتوا وجود هذه القارة المزعومة .كالقاضى الذى يبدأ تحقيق الحادث وفى قلبه رغبة فى أن تثبت التهمة على المتهمين . وهذه الرغبة قد تصبغ الأدلة الضعيفة بصبغة قوية . وتحمل الباحث على التغاضى عن مواطن الضعف فيما يعرض له من الحجج .

الأمر الثانى الذى يجب أن نحذره ، هو أن وجود مثل هذه القارة أمر مرغوب فيه جداً من الوجهة العلميـة . . . لأنها تصبح مرجعا نرجع إليه فى كثير من المسائل التى صعب علينا فهمها أو تعليلها . فاذا رأينا ـــ مثلا ـــ فى أوربا أو فى افريقية شعباً أو جماعة لا نعرف لها مصدرا ، أمكننا أن نقول بكل بساطة إنها بقيـة من سكان القارة المفقودة ـــ فالرغبة فى التخلص من بعض المسائل العويصة قد تجعلنا فى اشتياق لأن نسلم بوجود هذه القارة المزعومة وأن نقبل من أجل هذا كثيراً من الاقتراحات الواهية الضعيفة .

* * *

إن أول من ذكر قارة أطلنطس فيما بين أيدينا من الكتب هو أفلاطون. فقد حكى فى كتابه (طيماوس) رواية عن أحد أجداده أن صولون حكيم اليونان الأشهر لما قدم الى مصر ، وتحدث إلى كاهن من كهنتها ، أخبره هذا الكاهن أنه كان فى المحيط الأطلسى إلى غرب عمودى الهرقل (بوغاز جبل طارق) جزيرة عظيمة تزيد فى الحجم على ليبية (افريقيـة) وآسيا الصغرى معاً . وأنها كانت عامرة يسكنها شعب قوى ذو بأس وصولة ، استطاع أن يبسط سلطانه على جميع قارة أطلنطس وعلى ما جاورها من الأقطار فى افريقية وأوربا . وأن سلطان هؤلاء (الأطلنطيين) قد امتد حتى بلغ الى مصر وبلاد اليونان . غيرأن اليونان استطاعوا أن يردوهم على أعقابهم .

وهذه القارة العظيمة كانت عرضة للزلازل العنيفة والبراكين الثائرة ، فلم تلبث أن أخذتها الرجفة فهبطت تحت سطح الماء واختفت . وذلك قبل عهد صولون بنحو تسعة آلاف من السنين !

هذه هى القصة التى ذكرها أفلاطون نقلا عن أحد أجداده . وليس هنالك مايثبت أن هذه القصة قد رواها صولون حقيقة ، وأنها ليست من اختراع أفلاطون نفسه . وعلى كل حال ، وأيا كان مصدر هذه القصة ، فان مجرد روايتها على هذه الصورة ، لا يفيد الباحث عن أمر هذه القارة شيئا .

ان اختفاء جزيرة صغيرة تحت سطح المـاء بسبب هبوط فى قشرة الارض ليس بالشىء المستغرب ، وقد يكون اليونان أنفسهم قد شهدوا مثل هذا الحادث فى بلادهم الكثيرة الزلازل ،وهذا وحده كاف لأن يوحى إليهم بأن جزيرة قد وجدت ثم اختفت فى وسط المحيط ، ولهذا فان أكثر الباحثين لم يكن يرى فى حديث هذه القارة أكثر من أنه أسطورة جميلة . غير أن كثيرا مما كان يراه العلماء مجـرد أساطير قد أثبت البحث العلمى وجوده . وقد أخذ الباحثون يهتمون حديثا بتحقيق أمر هذه القارة .

إن هبوط جزء عظيم من سطح الارض واختفاءه تحت سطح الماء ليس بدعا فى الحوادث الجيولوجية الطويلة المدى ، التى تستغرق عشرات الملايين من السنين . وكذلك ليس بعجيب أن تختفى جزيرة صغيرة تحت الماء فى زمن وجيز بسبب حادث بركانى خطير . لكن الأمر الذى يصعب تصوره هو أن كتلة هائلة من اليابس تهبط نحو ثلاثة آلاف متر فى زمن يعـد وجيزا جداً بالنسبة الى ما يستدعيه مثل هذا الانقلاب الخطير فى سطح الارض . وبالطبع ليس اثبات هذا الأمر بالشىء السهل ، لأن أكثر الادلة مقبور تحت غمار البحار ، فى أعماق يصعب جداً الوصول إليها .

ولننظر الآن فى الادلة التى يدلى بها القائلون بصحة هذه الأسطورة .

لعل أول جهة يجب أن يتجه إليها البحث أن نتساءل : هل فى قاع المحيط الأطلسى أو فى جزء من قاعه مايدل على أن هذا القاع أو هذا الجزء من القاع كان أرضا ظاهرة فوق سطح الماء فى زمن حديث يقدر بنحو عشرة آلاف من السنين ؟ وهل فى السواحل الشرقية والغربية للمحيط مايدل على أنها كانت الى وقت قريب متصلة؟

يجب أن نجيب أو أن نحاول الاجابة على هذين السؤالين . ولكن يجب علينا أن نحذر فلا نخلط بين الاتصال الجيولوجى القديم ،

وبين الاتصال الحديث بواسطة قارة أطلنطس المزعومة .

من المعلوم أن قاع المحيطات ليس أرضا مستوية . بل فيه المرتفعات والمنخفضات والسهول والجبال . وقد أصبح ثابتا أن فى وسط المحيط الاطلسى سلسلة جبال طويلة جدا تمتد من شماله إلى جنوبه ، وفى بعض المواضع تظهر طائفة من قمم هذه السلسلة فوق سطح الماء . فتتألف منها جزر مثل جزر الأزور . (Azores) فى الشمال وجزيرة الصعود (Ascension) فى الوسط . وجزيرة (ترستان دا كنها) Tristan da Cunha فى الجنوب . وفى زعم القائلين بوجود القارة المفقودة أن جزر الأزور هى البقية الباقية منها . وأن الجزء الاوسط من المحيط الاطلسى قليل العمق لانه هبط حديثا .

كذلك يشير أصحاب هذا الرأى إلى التشابه العظيم بين السواحل الشرقية والغربية للمحيط الأطلسى ، بما يدل على اتصال الساحلين فى زمن قديم . وليس من شك فى هذا التشابه ، لكنه يرجع الى اتصال فى الأزمنة الجولوجية القديمة . ولا فائدة لأنصار هذا الرأى من الرجوع الى هذا الدليل الذى لا يفيدهم فى قضيتهم شيئا .

أما الأبحاث الخاصة بقاع المحيط الأطلسى ، والتى أريد بها إثبات أن هذا القاع كان الى وقت قريب بارزا فوق سطح الماء ، فهى – على قصورها – أقوى البراهين – أو على كل حال أقلها ضعفا – التى يدلى بها القائلون بوجود هذه القارة العظيمة .

وخلاصة هذا الدليل أنه فى عام ١٨٩٨ كانت إحدى السفن تبحث عن سلك تلغرافى قد انقطع فى وسط المحيط الاطلسى ، وفى أثناء بحثها عن هذا السلك كانت تستخرج من قاع البحر قطعا من الطين والصخر ، وقد فحصت هذه المواد فتبين أنها مما تقذفه البراكين الثائرة ، وأن هذه الصخور البركانية كانت مادة منصهرة ذائبة ثم تجمدت وكان تجمدها فوق سطح الأرض لا تحت سطح الماء كما هى حالها اليوم . وذلك لأن حمم البراكين (اللافا) اذا تجمدت فى الهواء كان لها شكل خلاف شكلها إذا تجمدت فى الماء .

والنتيجة التى يراد الوصول إليها من هذا ، هى بالطبع ان هذه البراكين هى براكين قارة أطلنطس وان هذه اللافا قد تجمدت على سطح القارة المفقودة قبل ان تختفى تحت عباب الماء . لكن لابد لنا للوصول الى هذه النتيجة الخطيرة من ان نثبت ان هذا الجزء من قاع المحيط الاطلسى الذى استخرجت منه هذه المواد قد كان فى وقت حديث – أى منذ نحو اثنى عشر ألف سنة . بارزا فوق سطح الارض .

ولاثبات هذا الأمر يقول بعض الكتاب انه فى نظر كثير من الجيولوجيين لا يمكن اللافا ان تبقى تحت سطح الماء اكثر من ١٥٠٠٠ سنة ، لانها فى هذه المدة تتحلل عناصرها تماما فلا يبقى لها أثر . إذن فاللافا التى استخرجت من قاع المحيط والتى ثبت أنها قد تجمدت فوق سطح الارض . لابد أن تكون قد غمرتها المياه حديثا – أى أن هبوط القاع حدث فى وقت حديث لا يتجاوز الخمسة عشر الف سنة !

هذه من غير شك أقوى حجة طبيعية يستند اليها القائلون بوجود قارة أطلنطس ولكنها للأسف لا تخلو من شىء من الضعف . ذلك أنه – على فرض أن ماء البحر يحلل اللافا ويذيب عناصرها فى مدة لا تتجاوز الخمسة عشر ألف عام – يجب أن نذكر أن اللافا عادة تتراكم طبقات بعضها فوق بعض ، ذات غلظ عظيم . وقد يتحلل الجزء الأعلى ويبقى الجزء الأسفل والذى يليه وهكذا . ولابد لها من مئات أو آلاف الأزمنة التى ذكرت قبلا – لكى يتم تحللها جميعا .

فهذه الحجة اذن – وإن لم تخل من قوة – فانها لا تثبت إثباتا قاطعا سوى أن قاع المحيط الأطلسى فى بعض جهاته كان يوما ما قطعة بارزة من اليابس ثم هبط تحت سطح الماء . ولا زلنا فى حاجة الى دليل أقوى من هذا يثبت لنا أن هذا الهبوط كان منذ زمن حديث مقدر بعشرة آلاف من السنين .

كذلك التشابه الذى يشاهد اليوم بين أنواع من الحيوان فى شرق المحيط وغربه ، دليل على وجود قارة اطلنطس ، بل على اتصال قديم جداً فى أزمنة جيولوجية غابرة ، بين طرفى المحيط شرقا وغربا .

فالأدلة الطبيعية قليلة الغناء . ولا يبقى بعدها سوى الأدلة البشرية أو الأنثروبولوجية ، أى التى تتصل بالانسان جنسا أو لغة أو دينا أو تقاليد أو ما شابه ذلك .

وتتلخص هذه الأدلة البشرية فيما يأتى :

١ – أنه قد ظهر فى أوربا أثناء العصر الحجرى القديم جنس من الناس طوال القامة عظام الهامة حسان الصورة فى وقت لم يكن فيه بأوربا سوى جماعات من جنس ذى صفات منحطة دنيئة . وقد أطلق العلماء على هذا الجنس العظيم اسم جنس « كرومانيون »

Cro — Magnon (نسبة الى ناحية فى فرنسا وجدت بها هياكل عظيمة كاملة لأفراد من هذا الجنس) . ولا يعرف أحد على وجه التحقيق من أين جاء هذا الجنس ، الذى ظهر فى أوربا فجأة فأحدث فى ثقافتها ثورة هائلة .

والآن يريد أصحاب قارة أطلنطس أن يخبرونا أن هذا الجنس إنما جاء من قارتهم المفقودة !

افتراض جميل سيخلصنا من مشكلة عويصة وهى نشأة هذا الجنس الذى لا نعرف تماما أين نشأ ! ولكن هل من العقل أن نتخلص من مشكلة لكى نقع فى مشكلة أعظم منها ؟

ان القائلين بأن هذا الجنس مصدره القارة المفقودة يزعمون أن هنالك شبها بينه وبين جنس قديم منقرض وجدت بقاياه فى البرازيل . وهذا الزعم لو صح لكان من غير شك حجة قوية لا تدحض . ولكن أكثر علماء الأجناس لا يرى مطلقا وجه شبه بين هذا الجنس البرازيلى القديم الذى وجدت بقاياه فى لاجوا سانتا وبين جنس « كرومانيون » .

٢ — فى أوربا شعب اسمه شعب الباسك Bosque يعيش على حدود فرنسا وأسبانيا . فى الاقليم الملاصق لخليج غسقونية . هذا الشعب القديم يعيش شطره فى فرنسا وشطره فى أسبانيا ويتكلم لغة ليس لها نظير فى لغات العالم كلها . وفى زعم أصحاب نظرية القارة المفقودة أن الباسك هم بقية الأطلانطيين الذين هاجروا من قارتهم الى أوروبا قبل الميلاد بعشرة آلاف سنه . وأن لغتهم تشبه لغات سكان أمريكا الاصليين بينما هى تختلف عن سائر لغات أوربا .

وهذه الحجة البراقة لاتستند هى أيضا على أساس متين ، لأن لغة الباسك لاتزال عقدة العقد . وقد رأى فقهاء اللغات فيها آراء متناقضة متضاربة ، ولم يبلغ العلم فى أمرها الى حل مقبول . وليس القول بأنها تشبه لغات أمريكا بأقوى من الرأى الذى يرى شبها بينها وبين لغات البربر فى افريقية ولغة المصريين القدماء .

٣ — اما الأدلة البشرية الأخرى التى يوردها أنصار قارة أطلنطس ، فتنحصر فى وجود تشابه حقيقى او موهوم بين بعض العقائد الدينية والعادات والتقاليد والآلهة فى العالمين القديم والجديد ، ومجرد ذكر هذه الامور كاف لأن يثبت للقارىء ان هذه الادلة ليست بالشىء الذى يسهل الركون إليه ، ولانستطيع أن نستند إليها فى القول بأن تلك الاشياء المشتركة مصدرها واحد وهو هذه القارة المفقودة ، التى انطلق منها فريق الى الشرق وآخر الى الغرب فنشروا آراءهم وعقائدهم وآلهتهم فى عالمين بينهما الآن آلاف من الاميال .

٭٭٭

وهكذا يرى القارى أن فكرة قارة اطلنطس لا تزال مفتقرة إلى دليل أقوى مما بايدينا اليوم ، ولكنا على كل حال يجب أن نرتاح إلى أن موضوعها أصبح اليوم معرضاً للبحث العلمى بالأساليب العلمية بعد أن كان مجالا للظن والخيال . ولهذا يسرنا ، أن نسمع الخبر الذى رواه أحد الكتاب فى عدد الشهر الحالى من مجلة فورتنيتلى من أن بعثة ألمانية قد سافرت حديثا إلى إقليم جزر الأزور لتفتش فى قاع البحر عن أدلة جديدة عن هذه القارة المفقودة .

محمد عوض محمد .

الشعر والفن

يتمتع قليل من الناس باحساس راق مهذب ، ينفعل انفعالا قوياً حينما يشهدون جمال الطبيعة أو يتأملون أسرارها ، وهذا الاحساس السامى لا يصلون إليه من كثرة القراءة والاطلاع ، ولا من كثرة الحفظ والاستظهار ، ولا من تأبط الدواوين والكتب ، وانما يأتيهم من تدريب إحساساتهم وتمرينها على التأثر بجمال الطبيعة والتأمل فيما يغمرها من أسرار ، ويشرق عليها من نظام ، وما يزالون يدربون إحساساتهم ، ويتعهدونها بالتمرين ، حتى إذا أوفوا من ذلك على الغاية ، وضاقت قلوبهم عن حبس ما يجيش فيها من عواطف وانفعالات ، اضطروا اضطراراً إلى اخراج هذا الفيض القلبى متدفقا فى هذه الأنهار الجميلة التى نسميها فنا ، من موسيقى ورسم ونحت وعمارة وشعر ، وما أشبه قلوب هؤلاء الناس بالبؤرة الصالحة ترد إليها أشعة الاحساسات الصادرة عن صور الطبيعة المختلفة ، فتحلل فيها ، ثم تنعكس فكرا جميلة ، وصورا بديعة ، وسرعان ما يجد الفنان نفسه مضطرا إلى ابرازها واظهارها لأنه لا يستطيع أن يؤويها فى نفسه ، ولا يمكنه أن يخفيها فى زوايا قلبه ، فيقدمها للناس فى هذه الثياب الساحرة ، ثياب الفن الجميل فتسترعى ألبابهم ، وتستهوى أفئدتهم .

والفنون جميعها تعبر عن عواطف مشتركة ، وتسعى إلى غاية واحدة هى اظهار مافى الكون من جمال، ولهذه الصلة الواضحة بين أنواعها كان لزاما على من يخصص نفسه فى فرع من فروعها أن يتزود ما أمكن بالفروع الأخرى ، وأن يتثقف بها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وقد فقه الغربيون ذلك وعرفوا قيمته فراح شعراؤهم يدرسون الفنون الجميلة ، ويمدون شاعريتهم بما يلذ لها من صنوف طعامها ، وألوان رحيقها ، وبينما هم مجدون فى ذلك مبالغون فيه ، نجد كثيراً من شعرائنا قد استناموا الى حياة شعرية غريبة ، حياة كلها تقليد وقطيعة للفنون ، فهم لايستمدون غذاء شاعريتهم الا من فتات مائدة ، هى هذه الدواوين الشعرية التى ورثوها عن الأقدمين ، يحفظون ألفاظها ، ويجودون أساليبها ويبتغون مثلهم العليا فى معانيها وصورها ، فترى الواحد منهم إذا أراد أن يقول شعراً راجع ماقاله القدماء ، والتقط مانثروه من ألفاظ وأساليب ، ونطقوا به من معان وصور ، حتى إذا اجتمعت اليه مجموعة لابأس بها من هذا كله ، سلكها فى هذه السلاسل التى يسميها أوزانا شعرية ، وقد نشأ عن ذلك أن قل الابتكار فى الشعر . وأصبحنا لا نكاد نتأثر أو نحس به لأنه موسيقى متكررة توقع من حين لآخر على نغمة واحدة ، وشاعت السرقات الشعرية عن هذه الطائفة من الشعراء ، فاستباحوا حمى أسلافهم الأقدمين وأغاروا على دواوينهم ، واجتلبوا منها سبايا الأساليب والصور ، ولكنها سبايا باردة جامدة لاتنبض قلوبها بحرارة ولا بحياة ، والشركات كثيرا ماتعقد فى هذه السبايا ، ولكن الشعر للأسف لايربح منها إلا ألفاظا لاغناء فيها ولاقيمة لها ، ولو كان للشعر العربى حكومة لأخذت على أيدى هؤلاء المتشاعرين الذين لايقعون منا إلا موقع الضوضاء الممقوتة المنكرة ، فحرمت عليهم اجتراح هذا الأثم ، أيا كان لونه ، وأيا كان شكله ، وإذن لاستراح الشعر العربى من عبء ثقيل يتعبه ويشقيه ، ويمرضه ويضنيه

ومما يدعو إلى العجب أن بعض النقاد أخذ يهيب بهؤلاء الشعراء ، ويضع أيديهم على ما هم فيه من عيب ونقص ، علهم يصلحونه أو يتخلصون منه ، ولكنهم يعرضون عنه ، ويصرون على ماتجلل آثارهم الشعرية من عيب ، وما يسومها من نقص ، وتضيع من وقت لآخر هذه الدعوات المخلصة ، وتذهب كأنها نفخة فى رماد ، لاتبعث لهيبا ولا توقد نارا ، أو صيحة فى صحراء ، تضيع فى متسع الاجواء ، وتفنى فى منفسح الآفاق ، ولو أنصف هؤلاء الشعراء أنفسهم لأصاخوا إلى هذه الدعوات المباركة واستجابوا إليها ، وهل يحسن بهم أن يؤثروا العقم على الانتاج ، أو يستحبوا التقليد على الحرية؟ إنهم لو تدبروا لسارعوا إلى تخليص أنفسهم من ذل الجمود ورق التقليد ، ففكوا عن أعناق شعرهم هذه الأفعى التى تحاول أن تخنقه على أن هذه الحياة الجديدة التى نأمل فيهم أن يستبقوا إليها ، لن تكلفهم مشقة كبيرة . فان السبيل إليها سهل ميسر ، وماعليهم إلا أن يلقوا محبة من نفوسهم على عوالم الفن الاخرى ، فيثقفوا بها ، ويجدوا فى ذلك التثقيف ، حتى يدربوا إحساساتهم ، حاسة حاسة ، تدريبا طويلا، وأكبر ظنى أن هذا هو السبيل الواضح الذى يصل بهم على عجل إلى غايتهم المنشودة ، ولعل من أمس هذه العوالم الفنية بالشعر ، عالم الخطوط والحركة ، أو ما يسمونه باسم « الرسم » ففى هذا العالم يستطيع الشاعر أن يمرن إحساساته تمرينا تاما كاملا على التأثر بجمال الطبيعة والانفعال بمشاهدها الرائعة ومظاهرها الساحرة ، ويظن كثير من الناس أن جمال الصورة يتركز فى ألوانها وأضوائها ، ولو كان الامر كذلك ، لكانت الصورة قليلة الجدوى ، والواقع أن جمالها البديع يتركز فى الخطوط وحركاتها واتجاهاتها ، تلك الخطوط التى تعدل الصورة وتقومها وتنتهى بها إلى شكلها الفنى الجميل ، أما الالوان فهى شىء إضافى يلحق بالخطوط بعد تكونها ووجودها ، والشاعر كالمصور لايختلف عنه فى شىء الا فى المادة التى يصور بها ، وإن فى الصورة المجتمعة ، وندرة العناصر ، وتناسب الجمع ، لنوعا ساميا من القوة الالهية كما يقول فلوبير ، وأهمية الصوره فى الشعر ترجع الى أنه لا يعبر عن الحقيقة كما هى وكما نجد عند النثر ، وإنما يتخذ للافصاح عنها طريقا آخر ، هو تمثيلها وتخيلها ، وعرضها فى صور خلابة ورسوم ساحرة ، وهذا هو الذى حدا باليونان منذ القدم إلى أن يخصوا الشعر ببرهان قائم بنفسه ، برهان لايقوم على اليقين ولايتخذ مقدماته من المنطق ، وإنما يقوم على الاقناع والتمثيل ، ويتخذ طريقه من التأثير والتخييل ، ونحن نلحظ مع الأسف أن الشعر العربى لايهتم بالصورة الاهتمام الواجب ، وإنما يضع همه كله فى الألوان والاضواء ، ولا نكاد نجد فيه الخطوط الكثيرة التى تخلق الصورة خلقا ، وتبتكرها ابتكارا ، وتعمر قلبها بالحرارة والحياة ، فمعظم شعرائنا يقفهم

من الصورة عند هذا النوع التافه الذى يسمونه مجازا أو كناية ، وما عرفوا أن هذه الاشياء هى أقل أنواع الصور قيمة بل هى فى الواقع لاتزيد على انها طريق من طرق التعبير ، أما الصورة الصحيحة فهى أسمى من ذلك وأرفع ، ولا بد فيها من تحضير للمواد طويل ، وجمع للعناصر كثير .

وعلاقة الشعر بالرسم علاقة قوية شديدة ، ولكن يظهر أن علاقته بالموسيقى أقوى منها بأى فن آخر ، فقد نشآ معا ، ولكن تقدم الفنون فصل بعضهما عن بعض فاستقل كل منهما بوظيفة خاصة ، على أن الموسيقى لاتزال تحتل الشعر ولا يزال أثرها واضحا فيه ، والشاعر فى الواقع ليس الا موسيقيا ساحرا يلعب بأنامله على قيثارته الشعرية فيطربنا بأنغامه ، ويشجينا بألحانه ، ويأخذنا بفيض وحيه وقوة الهامه . والواجب على شعرائنا أن يدرسوا الموسيقى ، وأن يعنوا بدراستها عناية كبيرة ، فكثير من الألوان التى يؤديها الشعر ترجع الى الموسيقى نفسها ، ولقد استفاد اليونان قديما من هذه الدراسة فوجدوا طريق الشعر فى العقيدة كلها ، بل فى الرواية التمثيلية على طولها ، واختلاف أشخاصها خلا الشعر الغنائى الذى كان يتخللها ، ولقد كان الرومان يفهمون الشعر على انه غناء أكثر منه شيئا آخر حتى تجوز بعضهم فسمى الشعراء باسم الموسيقيين ، ويقول بعض النقاد إن الموسيقى هى سر السحر فى الشعر وهى نفس صناعته ، وكيفية تأثير الموسيقى الشعرية فينا يختلف فيها النقاد اختلافا كثيرا ، ومهما يكن فهى تحدث تغيرا فى أسلوب الوجدان ، وكل نغمة تصلنا منها تؤثر فى أدراكنا ، وترتفع معها نغمات عاطفية فى نفوسنا ، ولا ينكر أحد ما لموسيقى الألفاظ من قيمة فى الشعر ، فهى ذلك الجمال الخفى الذى يستمد من غير المنظور مؤثرات ساحرة بديعة ، ولقد كان شاكسبير يعنى بها عناية فائقة ، حتى قيل إنه يحب الألفاظ من أجل الألفاظ ، لكن ينبغى أن ننبه الى أن موسيقى كل لفظة موجودة معها فى اللغة قبل وجود الشاعر ، ولكن لا ننس أنه هو الذى يختار الألفاظ ، ينتقيها ويجمعها فى سلك واحد فلا نحس تنافرا ولا شذوذا ، وانما نجد جمال التناسب والتوافق يتجلى فوقها ساحرا بديعا ، واللغات نفسها تهتم بموسيقى الالفاظ ، ويتضح هذا فى اللغة العربية فى ألفاظ الاستغاثة والندبة والتعجب فان قدماءنا قلبوا ياء المتكلم التى تنتهى بها ألفا حتى يشبعوا النغمة فى هذه الألفاظ ويستتموا بها التأثير فى الوجدان ، وقد زادوا فى ذلك فجعلوا لبعضها حرف نداء مخصوصاً هو « وا » ليزيدها قوة فى الصورة ، ويتناسب مع شدتها فى المنطق ، وهم قد فعلوا هذا كله ليدلوا على الانفعال الوجدانى ويكون التأثير فى قلب السامع أوفى وأقوى

وليس من شك فى أن تتابع المقاطع والأصوات وصور النبرات يجعل العقل مستعدا لنغمة خاصة ، وينقل القلب إلى حالات وجدانية متماثلة ، ويتبين هذا فى أننا نصبح بعد قراءة بيت أو بيتين من الشعر مهيئين لسماع مايوافق هذه الحالات الوجدانية التى هيجتها فينا الأصوات والنبرات الأولى ، فاذا فوجئنا بمقاطع ونغمات جديدة أحسسنا بالفرق الظاهر والانتقال الواضح ، على أننا يجب ألا نبالغ فى ذلك ، فان التأثير الذى يفد الينا من الشعر لايأتى من الضغط والمقاطع وتشديد الصوت وقوته ، نعم تؤثر فينا هذه الأشياء تأثيرات مختلفة ، ولكن هذه التأثيرات ليست كل شىء فى الشعر فان قراءة الشعر ليست نغما خالصا ، ولا شكلا غنائيا تاما ؟

شوقى ضيف

بكلية الآداب

ابن خلدون

حياته وتراثه الفكرى

بقلم محمد عبد الله عنان

فيه عرض نقدى مستفيض لحياه المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون وتراثه الفكرى والاجتماعى ، ووصف ضاف لآثاره ومنهجه واسلوبه ، واستعراض لجميع المباحث الغربية النقدية التى صدرت عنه وعن تراثه . يقع فى مائتى صفحة طبع دار الكتب . ويطلب من مؤلفه بلجنة التأليف والترجمة والنشر ومن جميع المكاتب وثمنه ٨ قروش عدا البريد

التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

— ٢ —

نباح الكلب في الليل

من الخرافات الفاشية عند أكثر الأمم وبين الفلاحين عندنا، التشاؤم من اهلال الكلب، أى الصياح بين الانين والنباح الغير العادى فى الليل؛ ويسميه أهل الشام «العواء المقلوب» وفيه يقف الكلب وقفة منكرة ينظر فيها الى القمر، ويشرع فى عوائه الغريب الذى يكاد يقرب من عواء الذئب، فيظن من يراه على هذه الحالة انه يدعو على أحد؛ ويناجى القمر لعله يساعده على جعل هذه الدعوة مستجابة، فيتشاءمون من هذا الصوت ويقولون أنه نذير شؤم يقع منه موت لأحد الناس. وأسلافنا المصريون هم فى الأغلب الأصل فى هذه الخرافة، فقد كانوا يؤمنون أن عزرائيل يتشكل فى شكل ابن آوى، وكانوا يرسمونه فى حفلات الجنازة والموت والحساب، وابن آوى يشبه الكلب كثيرا فى هيئته؛ وربما كان له وللكلب قديما اسم واحد، أو ربما كان الاعتقاد سائدا بأن الكلب يتلاقح مع ابن آوى، فلمازالت عقائد المصريين من الناحية الدينيـــة الرسمية بقيت بين الفلاحين وانتشرت بين عامة الأمم الأخرى.

وربما يرجع هذا التشاؤم الى الاعتقاد باصل النجاسة التى يوسم بها الكلب عند العرب، ولكن يجب ألا نبالغ فى الاعتقاد بنجاسة الكلب فان من العرب من كان يجله ويرعاه، ويعرف له فضله فى الأمانة والحرص على مصالح مولاه. وقد قال كتاب «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، تصنيف الامام أبى بكر بن خلف المرزبان فى سنة ٣٨١ هجرية:

«والكلب أيدك الله منافعه كثيرة فاضلة على مضاره بل هى غامرة لها وغالبة عليها. ولم تزل القضاة والفقهاء والعباد والولاة والنساك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها فى دورهم؛ وهم مع ذلك يشاهدونها فى دور الملوك. فلو علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا عن اتخاذها. بل عندهم أنهم إذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة.»

وعلى هذا النسق مضى المؤلف يعدد فضائل الكلاب، وأتى فى الكتاب بطائفة من الاقوال البارعة والابيات اللطيفة التى قيلت فى الكلاب ومنها يتبين للقارىء نظر العرب لهذا الحيوان.

القط

يتشاءم بعض الناس بأن القط الاسود مجلبة للشر وطالع نحس وعنوان كل كارثة مقبلة... ويتطير الغربيون بالقط الاسود اذا عبر طريقهم. وكان الانجليز حتى عهد قريب يحتفلون سنويا بمدينة «شرفيد» بالاتيان بقطة سوداء، رمز الظلام، ويضربونها بالسوط حتى تموت.

وربما يرجع هذا التشاؤم الى سواده، والسواد رمز للحزن أو ربما يرجع الى عقائد قديمة كانت شائعة عند القدماء بشأن سواد القط.

ولا يزال الايطاليون والهنغاريون يعتقدون بأن القطة التى تنب فوق سطوح المنازل لا بد أن تكون قد تقمصتها روح ساحرة شريرة. والبراهمة على العموم يعتقدون بحلول أرواح البشر فى القطط. وذلك أيضاً هو اعتقاد أهل السيام الذين يقدمون للقطط على سبيل الهدية أقفاصاً من ذهب يضعونها فى المعابد، وقد شوهدت قطة سوداء فى موكب الاحتفال بتتويج ملك سيام فى سنة ١٩٢٦.

وكثيرا ما كانت القطة فى القرون الوسطى سببا فى قتل صاحبتها من العجائز لاتهامها بالسحر وكانت القطة تعتبر دليلا على ممارسة العجوز لهذا «الفن الأسود» فى الخفاء لمساعدة الارواح العديدة التى تسكن جسم القطة.

ومن الخرافات المصرية التى شاعت فى العالم أن للقطط سبع أرواح أو تسعا. وقد يعزى الى هذه الخرافة بعض القسوة فى معاملة القط، ولكن أصلها يرجع الى حرمة القط بل الى تقديسه، فقد كان قدماء المصريين يقدسون هذا الحيوان ويحنطون جسمه ويشيدون له المقابر، وكانت «بشط» ربة مصرية لها رأس قطة، وكان المصريون يعتقدون أن لها تسع أرواح.

وذكر المؤرخ اليونانى «هرا بللون» ان الاغريق كانوا يصنعون تماثيل القطط بمعبد الشمس بمدينة هليوبوليس، لان عين هذا الحيوان تتبع الشمس فى انتقالها فى الأفق وقد عثر المنقبون فى سنة ١٨٩٠ على مقبرة كبيرة بجهة بنى حسن موجود بها جثث القطط

المحنطة موضوعة فى صفوف منظمة ، ولسوء الحظ أن الفلاحين تشاءموا من وجودها فأحرقوها .

وبدأ الناس فى فجر المسيحية يمقتون آلهة الاقدمين فاعتبروا القطة رمزاً للشيطان ومجلبة للشر .

قتل الثعبان

من اغرب العادات عند بعض سكان مصر انه لايرضى بقتل ثعبان البيت ويتشاءم من هذه الفعلة اذا حدثت ، وقد كان الثعبان مؤلها عند اسلافنا . فالحرمة التى يحوطه به بعضنا الآن هى فى الحقيقة حرمة دينية نسينا اصلها وغايتها وبقى رسمها .

نعل الفرس

يتفاءل الناس بنعل الفرس ويعلقونها على الحوانيت وابواب المنازل لتجلب السعد لساكنيها . ومن وجد نعلا فى الطريق عد ذلك حظا حسنا يستأنس به طول يومه بل طول عامه .

واصل هذا الاعتقاد ، أن نعل الفرس كانت فى الزمن القديم رمز الربة «عشتروت» فكان كل من يجد نعلا يتفاءل بها كأن الربة قد اهدتها اليه ، وربما يرجع أيضا الى أنها تشبه الهلال

ونعل الفرس حديثة العهد فى التاريخ لأنه لايمكن ان يعدو تاريخ الحديد المصنوع منه . والحديد لم يعرف الا منذ ثلاثة آلاف سنة . ولذلك قد يتوهم الانسان ان الاعتقاد فى حسن الحظ من النعال هو من مبتكرات المتمدينين الذين عرفوا الحديد ، وأن المتوحشين لاعلاقة لهم بهذا الاعتقاد ، ولكن الحقيقة ان هـذه الخرافة آتية من المتوحشين نزلت منهم الى المتمدينين . فنعل الفرس تشبه الهلال الجديد . والمرجح أن الانسان كان يصنع هلالا من خشب او عظم للتيمن ، فلما ظهر الحديد صار يصنعه من الحديد . ثم لما عرف نعال الخيل استغنى بها الانسان عن الأهلة القديمة وصار يعلقها على الابواب والحوانيت بدلا منها ، للمشابهة ، وبدلا من أن يرسم الهلال .

والاوربيون يتفاءلون بها مثلنا ويتعلقون بهذه العادة اكثر منا .

يتبع   ابراهيم تادرس بشاى

المعتصم بن صمادح

على فراش الموت

للدكتور عبد الوهاب عزام

الاندلس فى أمر مريج ، زال عنها سلطان الخلافة فاضطربت ، وفقدت رواسيها من بنى أمية فمادت . وأصبحت كرقعة الشطرنج يتغالب الملوك على كل بيت فيها . كل قوى يحوز ما وسع حوله وهمته ، والعيش غلاب . «والبر أوسع والدنيا لمن غلبا» .

فى هذا المعترك ملك محمد بن أحمد بن صمادح التجيبى (مدينة (وشقة) وملك بنو عمه مدينة (سرقسطة) . ثم غلبوه على مدينته

ثم ملك ابنه معن بن محمد مدينة (المرية) غصبها من عبد العزيز ابن أبى عامر . وخلفه ابنه أبو يحيى المعتصم بالله وهو فى سن الرابعة عشرة . نشأ فى ملك ضيق الرقعة ، فاستعاض منه سعة الخلق وبعد الهمة ، وحلية العلم والادب ، والسخاء الشامل ، والجود العمم ؛ حتى طاول المعتمد بن عباد كبير ملوك الطوائف ونافسه ، وحتى قال أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حينما لقيهما بالاندلس . « هذان رجلا هذه الجزيرة » .

قال ابن خلكان :

« وكان رحب الفناء ، جزيل العطاء ، حليما عن الدماء ، طافت به الآمال ، واتسع فى مدحه المقال ، وأعملت الى حضرته الرحال ، ولزمه جماعة من فحول الشعراء » .

وقال الفتح بن خاقان:

« ملك أقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع فى انتظام مجالسها واتساقها ، وأوضح رسمها ، وأثبت فى جبين أيامه وسمها . لم تخل أيامه من مناظرة ، ولا عمرت الا بمذاكرة أو محاضرة ... وكانت دولته مشرعا للكرم ، ومطلعا للهمم ، فلاحت بها شموس ، وارتاحت فيها نفوس . ونفقت فيها أقلام الأعلام ، وتدفقت بحار الكلام ، كاجادة ابن عمار وإبداعه ، فى قوله معتذراً من وداعه .

أمعتصما بالله والحرب ترتمى   بابطالها والخيل بالخيل تلتقى

دعتنى المطايا للرحيل وانني ... لأفرق من ذكر النوى والتفرق
وإنى إذا غربت عنك فانما ... جبينك شمس والمرية مشرق .

وكان المعتصم ، كالمعتمد بن عباد ، شاعراً مجيداً : كتب الى الوزير الشاعر بن عمار :

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ... وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خــلا تسرنى ... مباديه إلا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة ... من الدهر إلا كان إحدى المصائب

طوى الامير أربعين عاما فى امارته ، شاع فيها ذكره ونبه اسمه ، وحلب الدهر أشطره ، ورأى أحداثه وعبره . ثم حم القضاء وبعث ابن تاشفين جنوده على ملوك الطوائف تثل عروشهم ، وتعفى على آثارهم . ولقى ، رجلا الجزيرة ، الصدمات الاولى فدارت على المعتمد الدائرات ، فاذا هو أسير أغمات ، وللمعتمد بن عباد قصة ملؤها العبرات والزفرات .

وعلم ابن صمادح بما أصاب صاحبه فملكه الغم ، وناء به الحزن ، وكان أسعد من صاحبه جدا ، نجاه الموت من الاسار ، وأنقذه الحمام من المذلة : رب عيش أخف منه الحمام . ولله ابن بسام حين يقول : « وكان بين المعتصم وبين الله سريرة أسلفت له عند الحمام يدا مشكورة . فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به الأيام يسيرة ، فى سلطانه وبلده ، وبين أهله وولده »

دع مـا نمق الكتاب ، وأنشد الشعراء ، ودع أربعين طواها الزمان كأنها أحلام ، وانظر المعتصم ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة — الليلة التى طلع عليه بالردى فجرها — هاهو ذا على فراش الموت فى قصره بالمرية ، ومعسكر ابن تاشفين على مقربة من المدينة ترى خيامه ، وتسمع ضوضاءه . ويسمع المعتصم وجبة من الجيش اللجب ، والجند المصطخب ، فيقول كأن لم ينعم بالملك والجاه أربعين عاما !

لا إله الا الله ! نغص علينا كل شىء حتى الموت ، قالت « أروى » أحدى جواريه :

« فدمعت عينى ، فلا أنسى طرفا الى يرفعه ، وانشاده لى بصوت لا أكاد أسمعه ،

« ترفق بدمعـــك لاتفنه ... فبين يديك بكاء طويل »

عبد الوهاب عزام

الحرص على الحيـــاة

للعلامة الأمير مصطفى الشهابى
عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

لكم تساءل الانسان عن هذه الحياة ومعناها ، ومبدأها ومنتهاها ، ولكم أجهد نفسه بلا جدوى للحصول على جواب مقنع تسكن اليه نفســه الكليمة من أحاجى هذا الكون . وهو بين الأزل والأبد يمر فى هذه الحياة الدنيا كأسرع من إيماضة كهربائية تطوى الارض فى أقل من ثانية ! .

ماهى هذه الحياة الكامنة فى جنين بزور النبات ، وكيف تحتفظ بعض البزور المجففة بخاصة « الاتاش » عشرات من السنين ، حتى اذا زرعت وابتلت دبت فيها الحياة فضربت « نشها » فى الارض وأبرزت ســـداها فوق التراب يتلمس الشمس والهواء وهو أحرص على الحياة من الشيخ الفانى والهِمّ البالى . وراقب جذور هذه النبتة كيف تخترق ذرات التراب وتتغلغل فيها سعياً وراء الماء اللاصق بها حيث تجد غذاءها مذابا صالحا للامتصاص . والغريب أنك كيفما أدرت ذلك الماء دارت الجذور معه وسعت اليه كأنها تدرك أن لا حياة لها إلا به . واذا ما وضعت حاجزا معدنيا بينها وبين ذرات التراب المبتلة دارت حوله حتى تتخطاه ، وان أعياها الأمر أفرزت حوامض تذيبه ، حتى اذا ثقبته دخلت فى الثقب كما يفعل الكماة عندما يخرقون سور المدينة الحصينة ، ويدخلون من الخرق فيستولون عليها وينعمون بها .

وانظر الى الازهار الموضوعة فى نافذة غرفتك كيف تميل الى الخارج تستقبل الضياء حتى لكأنها تفر من الظلام الى النور . والحظ الاشجار المغروسة بجانب أحد الجدران كيف تبتعد عنه باغصانها النوامى فتبدو عريانة فيما يليه كأن قضبانها اللدنة لا تلتذ برغد العيش الا حيث يتماوج النور ويتلاعب الهواء . وهذه زهرة تدور مع الشمس من مبزغها الى مغربها حتى سموها عبادة الشمس . وتلك ورقة مركبة تفتح وريقاتها فى النهار وتضمها فى الليل مرتقبة شروق الشمس فى اليوم التالى وهى أحرص ما تكون على الانتفاع من شعاعها المتناثر . واعجب لتلك النبتـــة الحساسة التى يسمونها « مستحية » ، وخجولة اذ تنطبق أوراقها عند ما يمسها الانسان ، وتنكمش اغصـانها وتتـدانى كأنها تشعر بالخطر المحـــدق

بها فتبتعدعنه ، وكأنها تستعد لمغالبة ذلك الذى جاء ينتزع منها الحياة . وأغرب منها قواتل الحشرات التى تنطبق أزهارها على الذباب فتميته وتعصره وتغتذى بعصارته بعد أن تحتال عليه بشتى الحيل لئلا يفلت منها فيفوتها رزقها وتفوتها الحياة .

أما الحشرات فلها أفانين واعاجيب فى التشبث بالحياة والتعلق بها ولا سيما بواسطة أنسالها . والذى يتاح له أن يربى مثلى بعض أنواعها ويتابع سير حياتها بالمجهر أو بالعين أو بالعدسات يذهل من أساليب التلاقح والتسافد بين الذكر والأنثى ومن ضروب الحيل والقسوة التى ربما أدت بأحدهما الى الهلاك فى سبيل حفظ النسل وضمانة بقاء النوع حيا . وما من أحد الا وله معرفة بخلية النحل ويعسو بها ، وقرية النمل وأنابيرها ، وخيوط العناكب ومصايدها ، دع الحيوانات العليا وما تفتقه قرائحها من ضروب الحيل إما فى اتقاء عدو أو تلمس قوت أو إخلاف نسل . والنتيجة فى كل ذلك واحدة وهى بقاء النوع ببقاء الحياة فيه .

لكن ابن آدم الذى سمت مداركه ، كيف تلذه الحياة على ما فيها من شرور وآثام وآلام مبرحة ، ولماذا ترتعد فرائصه من الموت ، ويقف شعره لشدة فزعه منه ؛ وما هذه الشهوة الشديدة التى تدفعه الى الانسال ، وتلك العاطفة الغريزية التى تجشمه أشد المتاعب وأضناها فى تربية الابناء وإعدادهم للحياة . تمر كل هذه الأسئلة فى خاطر الانسان فلا يحير لها جوابا لأنه لا يفقه شيئا عن ماهية الحياة ولا عن الغاية منها . وإذا بأصحاب مذهب العدم اى العدميين ينتصبون قائلين : أما والحياة ليست سوى مجموعة من الآلام التى لا حد لها ولا نهاية ، فما علينا الآن نقضى عليها بقتل كل حى على هذه الكرة الأرضية الحقاء . فيضحك العالم من هذا الرأى ويجيب : هبوا الناس قبلوا رأيكم هذا وعملوا به ، فماذا يحصل بعد ان تفقد الحياة على هذه الكرة ؟ هل تظل الأرض خالية من الأحياء ، تدور دون ان يدرك احد دورانها ، ويتعاقب الليل والنهار دون ان يحس احد تعاقبهما ؟ هذا مالا يقبله العقل السليم . والراجح ان العلة التى أوجدت الحياة ستعيدها سيرتها الأولى مهما تعددت آراء اصحاب الاديان والمذاهب والفلسفات المختلفة والعقائد المتناقضة والعلوم الحياتية المحدودة فى تفسير هذه العلة وفى تحديد ماهيتها . وعندئذ تعود الحياة الى ما كانت عليه ، ويعود الأحياء الى التكاثر والتنوع والتناحر والتفانى وتكون نتيجة العمل برأى العدميين وقف الحياة بضعة ملايين من السنين ، وهى بعد لا تعد شيئا مذكورا فى هذه الدهور الأبدية ، والكائنات السرمدية .

مسكين أنت أيها الانسان ! ما أشقاك بهذه الحياة ! عقل قاصر وجد عاثر ، وإدراك بسيط ، وحواس محدودة . تأتى الى هذه الحياة وأنفك راغم ، فتعيش بأوهامك وأخيلتك الشعرية التى لا ظل للحقيقة فيها ، ثم تجالد وتكافح وتتألم وتشقى وتتوهم السعادة أحياناً ، لكنك سرعان ما تهلك مقهوراً مدحوراً ، فلئن كانت لك أمنية فى حياتك هذه فأجلها أن يسمو العقل البشرى حتى يصير قادراً على اكتناه أحاجى هذا الكون الغامضة .

مِنْ طَرَائِفِ الشِّعْرِ

شوقية لم تنشر

نظمها شاعر الخلود شوقى بك

فى الطلاب المصريين الذين يتعلمون فى أوربا

قف حىِّ شبان الحمى ... قبل الرحيل بقافيه
عوَّدتهم أمثالها ... فى الصالحات الباقيه
من كل ذات اشارة ... ليست عليهم خافيه
قل يا شباب نصيحةً ... مما يزوِّد غاليه
هل راعكم أن المدا ... رس فى الكنانة خاويه
هجرت فكل خليَّة ... من كل شهد خاليه
وتعطلت هالاتها ... منكم وكانت حاليه
غدت السياسة وهى آ ... مرة عليها ناهيه
فهجرتمو الوطن العز ... يز إلى البلاد القاصيه

أنتم غداً فى عالم   هو والحضارة ناحيه
واريت فيه شبيبتى   وقضيت فيه ثمانيه
ماكنت ذا القلب الغليـ   ـظ ولا الطباع الجافيه
سيروا به تتعلّموا   سرّ الحياة العاليه
وتأملوا البنيان وادّ   كروا الجهود البانيه
ذوقوا الثمار جنية   ورِدوا المناهل صافيه
واقضوا الشباب فان سا   عته القصيرة فانيه
والله لاحرج عليـ   ـكم فى حديث الغانيه
أو فى اشتهاء السحر من   لحظ العيون الساجيه
أو فى المسارح فهى بالنـ   ـفس اللطيفة راقيه

المحزون !!

لشاعر سورية الأستاذ خليل مردم بك

أعِن اللهم من صوّ   رته من حزَن

—

ألف الحزنَ فلو فا   رقه الحزنُ بكاه
وجفا اللهو فلو وا   صله اللهو شكاه
نفسه ليس لها غيـ   ـر الأسى من سكن

—

الأسى فى مقلتيه   قد محا كل ضياء
جاعل فى مسمعيه   كل صوت كالبكاء
إن ما يبصر أو يسـ   ـمع داعى الشجن

—

درج الطفل اليه   ضاحكا مستبشرا
ناشراً كلتا يديه   كالمصلى كبرا
أو كطير همّ بالاسـ   ـفاف عن غُصن

—

ضمه المحزون لا يمـ   ـلك رد العبراتِ
ذاكراً يوماً وإن طا   ل التراخى فهو آت
تصدع الشمل به جو   راً صروف الزمن

—

لو تراه والتى ها   م بها عند التلاقى
خلته يلفظ روحاً   بلغت منه التراقى
مغمض الجفنين للغصـ   ـة لا للوسن

—

قال: لا آسى إذا لا   قيت يوماً مصرعى
انما أخشى على حي   أن يودِى معى
فاحفظ اللهم هذا الـ   ـحب واحرس وصُن

—

واذا قبلى ماتت   ما عسانى أصنع
هل يؤدى حق حزنى   ان تفيض الأدمع
لا وربى دون أن نمـ   ـسى معاً فى كفنَ

—

ورأى الظالم لا يرْ   قب فى المظلوم ذِمه
فبكى حزناً لمن عُرّ   ى من عدل ورحمه
وعلى من بشديد الـ   ـجور والظلم مُنى

—

قال: ياذا المال مافى الـ   ـمال لى من مطمع
اى شىء هو اغلى   من لآلى الادمع
هل رأت عيناك دراً   غيرها فى الاعين ؟

—

فانا املك منها   ثروة لا تنفد
وانا ، إلا بها فى   كل مال ازهد
وحدها كم كشفت   عنى ظلال المحن

—

لا ترد منى شعراً   ولو ان الشعر سحر
كلما انشدت شطراً   فاض من روحى شطر
يا لروح بين أبيا   ت له مرتهن

—

نبذ الاديان يعتد   بها كل غبى
وجفا الاسلام لو لم   يك دين العرب

فهمو لو عبدوا الأو　　ثان آمسى وثنى

ما احب العرب الا　　منذ لاقوا المحنا
فهم قد زرعوا　　لكن سواهم قدجنى
كم لقوا سوءا بصنع　　قدموه حسن

ضاق بالاحزان ذرعاً　　فانتحى الروض النضير
يتغنى بنشيد　　مثل اسجاع الطيور
نفسه قد نشزت مع　　ه ولما تنثن

وهزار مع ورقا　　ء عليه عكفا
قال للورقاء مابا　　ل اخى البلوى غفا؟
قالت الورقاء بل ير　　حمه الله فني!

السكك الحديدية تحت الارض

للاستاذ فخرى ابو السعود

خلصت من زحمة الدنيا وضجتها
إلى طرائق تحت الارض تنسرب
جرت مفاوزها فى كل ناحية
فلم تزل تتلاقى ثم تنشعب
ظلماء جون كأحجار الأراقم قد
مدوا لها سبباً فى إثره سبب
تجرى بها مركبات ما يزال لها
تحت الثرى والدياجى مسلك عجب
سرى بها دافع للكهرباء فلم
تقذف دخانا ولم يزفر بها لهب
شتيمة الوجه إذ تنسل ساربة
مثل الثعابين فى أنيابها العطب
ترى على سفر طول المدى فاذا
حوتها صفروا سالت بها القضب
إن يبتغوا انطلقت أو يبتغوا وقفت
لم تشك أيناً ولم يعلق بها لغب
تظل ذاهبة منهم وآيبة
تمضى مولولة صخبى وتنقلب
يرمى بها نفق داج إلى نفق
وينطوى سرب من بعده سرب
كأنما هى سعلاة بها كلب
أو أنها طالب قد شفه الطلب
تجرى النهار وماتدرى له وضحاً
ودياجى الليل لاتبدو له شهب
تظل تقطع أنحاء المدينة لم
يشعر على الارض من جاءوا ومن ذهبوا
وتنثني فى الدياجى غير حافلة
بمن مشوا فى ضياء الشمس أو ركبوا
فكل نهج لها أنى مضت جدد
وكل قاص إذا رامته مقترب

الى شباب العيد

للاستاذ محمود الخفيف

جددوا العزم فالزمان أهابا　　وخذوا الحذر واستحثوا الركابا
ألبسوا العيد روقة وجلالا　　قد ظمأنا اليهما أحقابا
واملأوا مهرجانكم كبرياء　　وطموحا وعزة وغلابا
وانشدوا المجد بكرة وأصيلا　　واذكروا مصر جيئة وذهابا
وابعثوا فى البلاد صوتا قويا　　فستلقون صوتكم مستجابا
وافيضوا من الحماس علينا　　فسينصب فى القلوب انصبابا
وانظموا العزم والوفاء كتابا　　وانشروا فى الجموع ذاك الكتابا

واتركوا الكيد والخصام لقوم ... لايرون الجهاد الاسبابا
أيها المنكر الحيـاة علينا ... أقصر اللوم هل رأيت الشبابا؟
انظر اليوم كيف قاموا بأمر ... يملأ الشرق كله اعجابا!
رأوا النيل راسفا فى قيود ... صاغها الجور تستذل الرقابا
جنة الأرض أصبحت نهب قوم ... أخذوا الشرق عنوة واغتصابا
يشرب الرنق أهلها فى هوان ... ويبيتون فى حماها سغابا
يمرح الطامعون فيها اختيالا ... ويقاسى الاحرار فيها اغترابا
فأبت نخوة الشباب عليهم ... أن يناموا ومصر تلقى العذابا
فسعوا للكفاح سعيا حثيثا ... أرأيت الشبول هبت غضابا؟
نضّر الله وجه مصر بقوم ... مسحوا عن جبين مصر الترابا
أجمعوا أمرهم وساروا جموعا ... يتخطون بالثبات الصعابا
لهم المجد تالدا وطريفا ... والمعالى وراثة واكتسابا
كل يوم لهم بمصر نداء ... ولهم عزمة تذيب الصلابا
اسألوا مصر عنهمو يوم قاموا ... لا يخافون بطشة أو عقابا
يرفعون اللواء صفا ويمشو ... ن سهاما الى الردى أسرابا
زمر تبذل النفوس وتحدو ... ضاحكات لدى المنون طرابا
كتبوا صفحة العزاء لمصر ... بدم كان كالعباب انسيابا
يا شبول العرين فى مصر هيا ... أبعدوا عن ربوع مصر الذئابا
لست أدعوكمو لكيد ولكن ... أبتغى الرشد عندكم والصوابا
نافسوا الطامعين بالجد وامضوا ... قد كفانا تصايحاً واعتصابا
لا تقولوا ضيوفنا بعد هذا ... أسمعتم عواءهم والسبابا؟
نحن أولى اذا أردتم ملاما ... فاصرفوا اللوم عنهمو والعتابا
وأهيبوا بقومكم أن أفيقوا ... ان للمحسنين منكم ثوابا
قد سئمنا ترددا ونكولا ... وخنوعا وغفلة وارتيابا
سبل العيش مهدوها وسيروا ... فى حمى النيل جحفلا غلابا
أنتم اليوم للبلاد عتاد ... وغدا سوف تدركون الطلابا

الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية

— السلم الموسيقى. —

— ٢ —

هل توجد حقا فروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ؟ يقول الموسيقيون الغربيون بوجود هذه الفروق ظاهرة واضحة لاسبيل الى إنكارها أو الشك فيها ، ويؤمن الموسيقيون الشرقيون بهذا الرأى ، ويذهبون الى أبعد حدود الفكر ، ثم تقوم القائمة بين مفكريهم ، فى هل تظل هذه الفروق على ماهى عليه أبداً ، أم تقرب بينهما لفائدة الموسيقى الشرقية ونهضتها . ولكل رأى أنصاره ولكل رأى الداعون إليه بقوة وإيمان .

أما من أين نشا هذا الخلاف ، وهل كان منذ أن عرف العالم شيئا اسمه موسيقى ، أم أنها كانت واحدة فى بدئها ثم انقسمت إلى فرق وشيع باختلاف أذواق من اشتغلوا بها والمؤثرات التى أحاطت بهم . للجواب على هذا السؤال يلزمنا أن نمهد له بذكر شىء يسير من تاريخ الموسيقى ونشأتها وتطورها والنواحى التى اتجهت اليها .

يقول التاريخ إن أقدم حضارة عرفها العالم هى فى الأمة المصرية القديمة ، وإن أقدم موسيقى عرفها التاريخ هى موسيقى قدماء المصريين. لايخالفنا فى ذلك مخالف ، غير أن بعض من بحثوا فى تاريخ الموسيقى من الغربيين يميلون الى نسبة الموسيقى القديمة إلى فلاسفة الاغريق ، وأنهم أول من وضعوا قواعدها وأصولها ، ولعل فى ذلك روحا من تعصبهم فى البحث وعدم إيرادهم الحقيقة فى كثير منها مادام الفضل سيعود من ورائها إلى الشرق وأهله . أم لعل ذلك راجع إلى أن أقدم ماعثروا عليه من كتب الموسيقى، هو لفلاسفة اليونان القدماء .

ومما لاشك فيه أن الموسيقى كانت تدرس عند قدماء المصريين وكانت لها قواعدها وآدابها، ففى الحروب كانت تذكى نيران الاقدام والبسالة ، وفى المعابد كانت تبعث الخشوع والايمان ، وفى قصور الملوك وفى دور النبلاء كان للموسيقى المكان الأسمى .

ذلك مادلنا عليه آثارهم المحفورة فى المعابد والهياكل والقبور. وأقدم الآلات التى عرفها التاريخ هى الناى والمزمار واللير وهى من صنع قدماء المصريين . ويقول هيرودتس المؤرخ القديم .. إن

من أعظم الاحتفالات المصرية ، الاحتفال بعيد الاله أزوريس ، فكان الكهان يحملون تماثيل الاله من الذهب الخالص ، وفريق منهم ينشد الأغانى الدينية وفريق منهم يعزف على الناى .

واخذ بنو اسرائيل الموسيقى عن المصريين ، ونبغ منهم افراد ، وفى اقاصيصهم عن سحر مزمار داودوداوئره فى الطير والحيوان الكثير . وعند خروجهم من مصر نشروا فى مختلف البطاح والوديان ماعرفوه من العلوم الموسيقية ، ولعل اقدم نشيد عرفه التاريخ هو نشيد ميريام الذى أنشد عند عبورهم البحر الاحمر .

وأخذ الاغريق الموسيقى واصولها عن المصريين والعبرانيين ، وتدرجت الموسيقى فى الغرب من المعابد الى قصور الخاصة ثم الى المحافل العامة وتطورت بتطور المجتمع الغربى وتأثرت بما تأثر به من مختلف التأثيرات . وانتشرت فى الشرق من بلاد الفرس الى العرب الى مايجاورها من بلاد الشرق وتأثرت بما تأثر به المجتمع الشرقى من عادات وأخلاق وطبائع ، وعرفنا نحن من هذا أن اصل الموسيقى فى العالم واحد وانها كانت فى بدايتها ولا اختلاف فيها ولا تقاسيم . ولنتكلم الآن عن أول تقسيم للسلم الموسيقى عرف فى التاريخ وهو المسمى سلم فيثاغورس وتقسيمه كما يلى من اليسار الى اليمين

دو — س — لا — صول — فا — مى — ري — دو

ليما — مسافة كبيرة — مسافة كبيرة — مسافة كبيرة — ليما — مسافة كبيرة — مسافة كبيرة

أى أنه مقسم الى مسافتين صوتيتين كاملتين ثم نصف مسافة صوتية ناقصة (ﻟ ﺍ) ثم ثلاث مسافات صوتيات كاملات ثم ليما . وهذا السلم يكاد يقابل سلما شرقيا لنغمة « عجم عشيران » من حيث نسب المسافات الموجودة بين مقاماته وترتيبها كما يلى من اليسار الى اليمين تصاعديا :

عجم ... حسينى ... نواه ... جهاركاه ... كردى ... دوكاه ... راست ... عجم عشيران وهذا ما يطلق عليه بالاصطلاح العر الحديث اسم السلم الكبير Gamme Majeur . وأول سلم شرقى عرف هو السلم الفارسى العام وترتيب درجاته كما يلى :

هفتكاه ... ششكاه ... بنجكاه ... جهاركاه ... سيكاه ... دوكاه ... يكاه

ولما استعملت الاصطلاحات الموسيقية الفارسية فى المجتمعات العربية حصل بعض تعديل فى أسماء المقامات فتغير اسم هفتكاه الى اوج واسم ششكاه الى حسينى وبنجكاه الى نواه ويكاه الى رصد واستعمل اسم مقام يكاه للمقام الاول فى ترتيب أوتار العود وهى نغمة قرار النواه .

المسافات الصوتية العامة .

— — — — — — —

-١- المسافة الصوتية العامة Ton MaJeur وقيمتها ٨/٩

-٢- « « الناقصة Mineur « » ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦

-٣- نصف المسافة الكاملة Majenr « Demi » ٢٠٤٨/٢١٨٧

-٤- « « الناقصة Mineur « » ٢٤٣/٢٥٦

-٥- الفرق بين مسافة الناقصة والمسافة الكاملة وتسمى كوما « ٥٢٤٢٨٨/٥٣١٤٤١

ولتفهيم معنى تلك القيم الكسرية للمسافات ، نفرض أن هناك نغمتين متتاليتين الأولى ا والثانية ب ، وأردنا أن نعرف قيمة المسافة الصوتية الموجودة بينهما . لذلك نضبط وتر الصونومتر (جهاز يستعمله علماء الطبيعة لقياس الاصوات بواسطة الأوتار) حتى يصدر النغمة ا فيكون طوله عبارة عن مقام الكسر ، ثم نحرك ضابط الصونومتر المتحرك على الوتر حتى يصدر النغمة ب فيكون طوله حينئذ عبارة عن بسط الكسر ويصبح عندنا كسرا حسابيا يدلنا على قيمة المسافة الصوتية بين نغمتى ا ، ب (وهذا باعتبار أن نغمة ا أوطأ من نغمة ب .

تلك المسافات هى المقاييس الصوتية العامه سواء كانت للموسيقى الشرقية أم الغربية ، ولكن الموسيقيين الغربيين لايتبعون الآن فى تقسيم سلمهم إلا المسافة الكاملة ونصف المسافة المقرب وهو يساوى عدديا ١٥/١٦ ويطلقون عليه اسم السلم المقرب Gamme tempéré وترتيب مسافاته كما يلى

٨/٩ .. ٨/٩ .. ١٥/١٦ .. ٨/٩ .. ٨/٩ .. ٨/٩ .. ١٥/١٦

بينما يتبع السلم الموسيقى الشرقى الدقه فى مسافاته وتقسيمه العام هكذا

× .. ٨/٩ .. × .. ٢٠٤٨/٢١٨٧ .. × .. ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦

.. × .. ٨/٩ .. × .. ٢٠٤٨/٢١٨٧ .. × .. ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦

.. × .. ٨/٩ .. ×

ومن هنا نشأ خلافان أساسيان أولهما أن السلم الغربى لا يستعمل المسافة الناقصة ، وثانيهما أن نصف المسافة الثانية فى السلم الغربى يقع آخر مسافة ، بينما فى السلم الشرقى يوجد نصف المسافة الثانية بين المقامين السادس والسابع .

تقسيم المسافات الصوتية فى السلم الغربى الحديث

قسم الموسيقيون الغربيون المسافة الصوتية الى قسمين متساويين فالمسافة مثلا بين دو ، رى يقع فى منتصفها تماما نصف مقام يسمى عند نسبته تصاعديا دو دييز وعند نسبته تنازليا رى بمول وفى التقسيم العلمى الصحيح نجد أن علامة دييز تكون لرفع المقام الذى تنسب اليه خمس كومات كاملة ، وعلامة بمول لخفضه خمس كومات كاملة ، ولما كانت المسافة الكاملة مقسمة الى تسع كومات وهو التقسيم الذى يقر به فيثاغورس ، إذاً أصبح موقع دو دييز غير موقع رى بمول ، أى أننا عندما نريد تقسيم المسافة بين دو ، رى بحساب علامتى الدييز والبمول ، يلزمنـــا تقسيمها الى ثلاثة أقسام كما يلى :

رى .... دو دييز .. رى بمول .... دو

غير أن علماء الصوت والموسيقى يحتجون بأن الأذن لا يمكنها التمييز بين نغمتين الفرق بينهما كومة واحدة ، ولذا استغنوا عن ذلك التقسيم الصحيح الدقيق واعتبروه نظريا بحتا ، وأصبح لا يوجد فرق بين دو دييز ورى بمول وأصبح موقعهما واحدا كما فى البيان . وان كان هناك بعض الموسيقيين اللملاسيك ممن لا يخضعون لهذا التقسيم ولا يستعملون الآلات ذات الدرجات الثابتة .

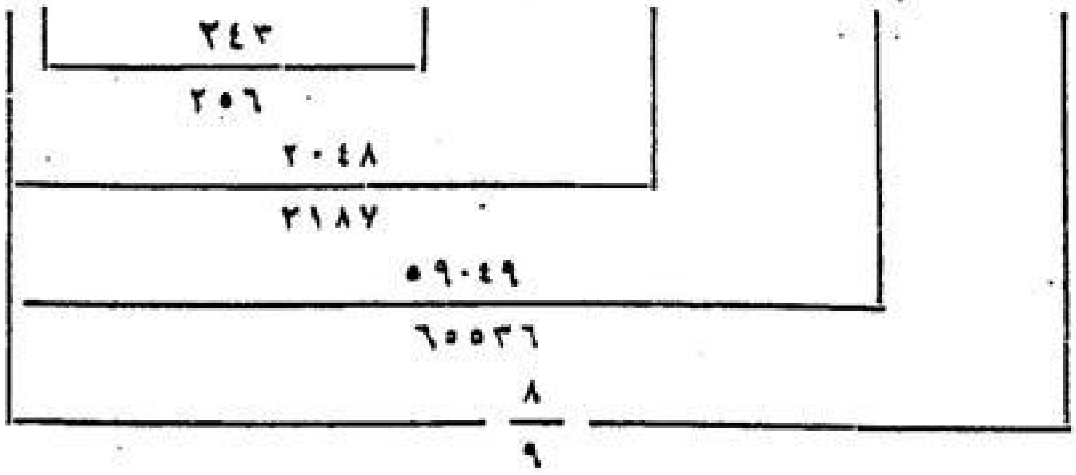
تقسيم المسافات الصوتية فى السلم الشرقى

ظل الموسيقيون الشرقيون القدماء يستعملون التقاسيم الدقيقة فى سلمهم الموسيقى ، وما زالت المسافات الصوتية فى السلم الشرقى هى الخمس المسافات التى بيناها وهى المسافة الكاملة والمسافة الناقصة ونصف المســـافة الكاملة ونصف المسافة الناقصة ثم الكومة ، وسنبين الآن كيفية التقسيم ليتضح لنا عظم الفرق بين التقسيم الشرقى ودقته ، والتقسيم الغربى وبساطته .

١ – المسافة الصوتية الكاملة ٨/٩

تقسم الى أربعة أقسام ، فمثلا بين الرصد والدوكاه توجد النيم زيركولاه ، وبعدها عن مقام الرصد عبارة عن نصف مسافة ناقصة ثم تليها الزيركولاه وتبعد عن الرصد نصف مسافة كاملة ، ثم التيك زيركولاه وبينها وبين الرصد مسافة ناقصة ثم الدوكاه وبعدها عن الرصد مسافة كاملة .

دوكاه .. تيك زيركوله .. زيركوله ... نيم زيركوله ... رصد



٢ – المسافة الصوتيه الناقصة ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦

تقسم الى ثلاثة اقسام فمثلا من الدوكاه الى السيكاه يوجد الكردى وبعده عن الدكاه نصف مسافه صوتيه ناقصه ثم التيك كردى ويبعد عن الدوكاه نصف مسافه كامله ، ثم السيكاه

سيكاه .... تيك كردى .... كردى .... دوكاه

٣ – نصف المسافه الكامله ٢٠٤٨/٢١٨٧

تقسم الى ثلاثة اقسام ، فمثلا من السيكاه الى الجهاركاه ، يوجد البوسلك وبعده عن السيكاه كومه واحده ثم التيك بوسلك وبعده عن السيكاه نصف مسافه ناقصه ثم الجهاركاه وبعده عن السيكاه نصف مسافه كامله

جهاركاه ... تيك بوسلك ... بوسلك ... سيكاه

وعلى ذلك يكون ترتيب الرباعى الأول والثانى اللذان يكونان السلم الشرقى هكذا

رصد ٢٠٤٨/٢١٨٧ عراق ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ عشيران ٨/٩ يكاه

الرباعى الاول tetracord

جهاركاه ٢٠٤٨/٢١٨٧ سيكاه ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ دوكاه ٨/٩ رصد

الرباعى الثانى

العلوم

العنصرية

للدكتور احمد زكى

قامت النازية الألمانية على مبادىء عدة، منها السياسى ومنها الاقتصادى ومنها الادارى، ولكن لعل أخطر من هؤلاء جميعاً وأكثر وروداً على ألسنة خطبائها، وأسرع إذكاء لحمية مستمعيهم، ذلك المبدأ الغالى الذى يعتمد على القومية الخالصة والدم الصريح، فى استنهاض الشعب الجرمانى الى كل ما تقول به النازية وتدعو اليه من العقائد والأعمال.

لو أن النازية قصدت إلى تمجيد قومها، وغالت فى ذلك ما شاءت وشاءت لها الدعاية، لما شكا أحد مما تقول، ولو أنها غالت حتى ألهتهم، لنظرت اليها الأمم بابتسامة عريضة يستتر وراءها اغتباط هادىء من تذوق فكاهة هائلة، فى عالم يحسن أن تكثر فيه الملح والنكات. أما وقد أرادت أن تمجد قومها بتجريد غيرها من الأقوام، وأن تزيد فى أولئك بانتقاص هؤلاء، فقد أثارت حفائظ الأمم، وأيقظت عزة الأجناس البشرية، فاستقاموا فى جلستهم يستمعون لجد حسبوه مزاحا، وتقطبت من جباههم أسارير للتفكير بعد أن كانت قد انبسطت وجوههم بالبشر، و ذلك لما رأوا المهزلة تستحيل الى مأساة، ووجدوا النازية تطرح على كتفيها روب الأستاذ العالم الانثروبولوجى، بنظر فى أصول الأمم، ويقدر قيم الأصلاب، ويضع الخلق فى منازل تعلوها جميعاً تلك النطف الجرمانية التى ادخرتها الآلهـة على الأجيال، لتنحدر الى الوجود فى القرن العشرين فتكون للناس سادة أمثالا، وتكون هدى وبشرى للعالمين. وكل ذلك باسم العلم

لذلك تصدى للرد على هذه النظرية التى اتخذت صورة علمية رجال من رجالات العلم، ولعل أكثر هؤلاء اعتدالا رجل متحدر هو نفسه من أصـلاب جرمانية، ذلك هو «ملكولم بيسل» الأستاذ بجامعة كاليفورنيا. قال:

قل من يخالف فى أن الجنس الجرمانى جنس عظيم، وأما أنه أعظم جنس كان فى كل زمان ومكان، وأن كل مدنية كانت وتكون، اعتمدت وستعتمد على هذا الجنس، فذلك ما لا تحتمله أكبر المخيلات إسرافا، ولا تتسع له أكثر الحلوم رخاوة وسماحة. ومثل هذه المغالاة، لاسيما اذا استعير لها لسان العلم، ستظل دائماً نذيراً بأن الانسان لاتزال عواطفه سيدة عقله، وهواه حاكم صوابه. يدخل الأمر نفوسنا ويستأذن فى لطيف على قلوبنا، فيجد كل أهوائنا توافقه،

ومن هذين الرباعيين يتكون السلم الموسيقى الشرقى العام مع اضافة مسافة صوتية كاملة بعد الجهاركاه ليختتم السلم بجواب مقام اليكاه وهو النواه. ويصبح ترتيبه كاملا كما يلى

نواه $\frac{٨}{٩}$ جهاركاه $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ سيكاه $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ دوكاه $\frac{٨}{٩}$

رصد $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ عراق $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ عشيران $\frac{٨}{٩}$ يكاه

بقى بعد توضيح الفوارق بين تقسيم السلمين الشرقى والغربى ان نذكر شيئا عن الانغام والأوزان فى كلتى الموسيقتين، وارجو لو سنحت فرصة قريبة ان شاء الله على صفحات من الرسالة المقبله.

مدحت عاصم

وكل ميولنا تناصره ، فنألف هذا الأمر ، ثم نعتقده ، ثم من بعد ذلك نتطلب الحجج على أنه الحق . نعتقد صواب شيء ، نعتقد أن الجرمانيين سادة الأجناس لأننا نحن جرمانيون ، أو أن النصرانية أقوم الأديان لأننا نحن نصرانيون ، أو أن هذا الحزب أصدق الأحزاب لأننا له متحزبون ، ثم من بعد هذا ، ومن بعد هذا فقط ، ننظر في الأدلة لنصرة معتقدنا ، ونخرّج في سهولة أو يسر تلك البراهين التي تعزز مذهبنا ، وتلك الأدلة لا شك آتية ، وتلك البراهين لا شك غير مستعصية . وبذلك نحسب أن عملية التخريج تمت ، وأن العلاقة بين السبب والمسبّب استبانت ، فيتأكد بذلك معتقدنا ويزيد به إيماننا . ونحن نتّبع أسلوب هذا المنطق الطريف غير شاعرين ولا متيقظين اليه ، ويتبعه العلماء كما يتبعه السوقة بمثل تلك الغفلة ، فهو أسلوب متستر خفيّ ، أخطر ما فيه تستّره وخفاؤه

ليس في دعاوى النازيّة اليوم من جديد ، فهي تكملة للدعوى التي بدأت في القرن التاسع عشر ، وهي مثل من أمثلة عدة لم يسلم منها قرن من القرون ولا شعب من الشعوب . فالشعوب دائماً تميل للسيطرة على الشعوب بدعوى تفوق الجنس ، وتستغلهم بحجة قوة الدماء وخلوصها ، وتبعث فيهم حسًّا بحقارة أنفسهم لفقر وخلط في دمائهم ، وخسة في أصولهم ، فهي إذن دعاوى للعيش وأسباب للغلبة ، أكثر منها دعاوى في العلم وقضايا في المنطق .

ليس مذهب الجرمانية الا فرعا من مذهب الآريّة ، وكان من أكبر دعاة هذا المذهب وشارحيه ، الكونت « جوزف دي جوبينو Josef Arthur de Gobineau » ، كان فرنسيا أرستقراطيا مات عام ١٨٨٢ ادعى جوبينو أن الآريين خلقوا ثم أمدّوا بالروح والعمر كل ما هو جميل وعظيم في الحضارة . ونسى أن يثبت وجود هؤلاء الآريين كجنس واحد نقي خالص . أن فكرة الآريّة نشأت من دراسة لغات بعض الامم الاوروبية وبعض الامم الاسيوية ، والاهتداء الى وجود أشباه بين تلك اللغات ، أدّى الى افتراض أنها جميعا مشتقة من لغة واحدة هي الآريّة ، وذلك فرض على لا شبهة فيه . استنتج جوبينو وأشياعه من وجود لغة آرية وجود شعب آريّ قديم عزا اليه حضارات الازمان الخوالي ، وزعم أن هذا الجنس الآري هاجر الى شمال أوروبا فتحدرت منه الشعوب التيوتونية والانجلو سكسونية ، فهي لذلك سبب الحضارات الحالية والعلة في استمرار وجودها . وفات جوبينو أن وجود لغة واحدة ليس بدليل قاطع على وجود جنس واحد ، وان اتحاد اللغات في أمتين أو أمم ، ليس بحجة على اتحاد الاصلين او الاصول ، فقديما ما أعارت الامم اللغات واستعارت ، فوجود جنس آريّ كالذي تحسبه النازيّة اليوم ، لم يقم عليه أي دليل

والعنصر الجرماني نفسه مجهول الاصل ، وفوق هذا فلا يستطيع أحد ان يدعى له أرومة خالصة . انه عنصر شديد قوى ، ولا شك أن اختـــلاط دمه بدماء أوروبا الوسطى والجنوبية كان له أثر كبير فيما حدث هناك من التقدم والارتقاء ، ولكن ما يقال في العنصر الجرماني يقال في سائر العناصر ، فكثيراً ما أدى اختلاط عنصرين الى عنصر جديد أشد وأكثر حياة من أصليه .

على أن العلم الى اليوم لا يستطيع بثقة أن ينسب الى أية مجموعة بشرية ، خصالا خاصة عتيقة ثابتة فيها ، لأنه الى اليوم لا يدرى كيف يقيس هذه الخصال برغم ما أسموه « مقاييس الذكاء » ، فتلك مقاييس ثبت مراراً وتكراراً أنها لا تقيس الذكاء وحده وانما تقيس معه آثاراً من البيئة والثقافة لا يمكن عزلها عنه . ومع هذا لا نفتأ نسمع الخرافة الجرمانية تلوكها الألسن ، وتتردد على الأسماع ، فمجد الاغريق كان بسبب غزو الجرمان ، وروما دام عزها وبقي سلطانها بقاء دمها الجرماني خالصا صريحا ، فلما اختلط حاق بها ما حاق ، واسبانيا لم تستيقظ الى ما استيقظت اليه الا بسبب ما دخل عروقها من الدم التيوتوني ، « والنهضة » الاوروبية نفسها لم تكن الا ظاهرة جرمانية صرفة

يقولون ان الرومان والاغريقين كانوا وهم في أوج عزهم جرمانيين صرحاء . ليس من السهل الحكم على ما كانت تتألف

منه أمم قديمة كالاغريق والرومان ، ولكن من الثابت انه فى العصور التى سبقت ، كانت حروب وكانت فتوح ، وكانت غلبة وكان انغلاب ، وكانت هجرة وكان تشتت ، فلم يرتبط قوم بأرض ، ولم ينعزل جنس بسبب ذلك عن جنس ، فلم يكن فى عصر الأغريق ولا فى عصر الرومان دم لم يختلط ، ولا عنصر لم يتلقح ، فكل مايقال عن خلاص السابينين Sabines (١) والاترسكانيين Etrucsans (٢) وحتى عن نقاء الرومان والاغريق ، لا يمكن تدعيمه على ماهو معروف اليوم فى علم الاجناس . قالوا وشادوا بان الأسبرطيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك أدخلهم « دكسن » Dixon فى عداد الألبيين Alpines وقالوا وشادوا بأن الاترسكانيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك قال عنهم هرتس Hertz مؤلف «الشعوب والمدنية» أنهم لم يكونوا من المجموعة الهندية الجرمانية ، وأن هذا ثابت ثبوت يقين

ان العنصر له أثر لا ينكر فى احداث المدنيات وتنشئة الشعوب ولكن هناك أمور أخرى لا تقل آثارها عن أثره ، ولا تتجاهن نتائجه ، وهى تلك التى ينكرها المتصلفون من دعاة العنصرية وغلاتها . ليس من العلم فى شىء أن ننسب عظمة الاسبان مثلا الى دخول الدم الجرمانى اليهم ، وسقوطهم الى دخول دماء اخرى غير جرمانية ، ثم نغفل العوامل التاريخية والجغرافية الكبرى التى كان لها أثر كبير فى تلك الرفعة وهذا الهبوط . واذا عزونا كل مدنية الى الدم الجرمانى وكل تقدم اليه ، فكيف نفسر تلك المدنية العربية التى ازدهرت يوما ما فى الاندلس وطالت ما حولها من المدنيات الاوروبية طولا كبيرا

ان إبطال الدعوى الجرمانيه بل تسخيفها عمل يسير هين . ولكن العمل الشاق الذى يتعب الأفهام ويجهد العقول ، انما هو تسبيب نشوء المدنيات ، وتسبيب انحطاطها أو زوالها . الناس تجنح دائما كما يجنح الالمان اليوم الى جعل العنصر العامل الوحيد فى ذلك ، الذى تتضاءل دونه العوامل ، والسبب الذى لا تستأهل سائر الأسباب الى جانبه ذكرا . خطأ كبير تغذيه العاطفة ، وسهولة فى تبسيط القضايا لا تسيغها العقول العلمية الهادئة . من بدء أزمان لا تقدر ، الى ماقبل قرون قلائل كان الجنس الجرمانى يسكن شمال القارة الأوربية ، وكان جنسا غير مذكور ولا مأبوه له ، وكان أحط الأمم الاوربية سكانا ، فاين كانت خواصه الألهية ، وصفاته السماوية كل تلك القرون ؟ أ كان عاجزا عن خلق مدنية لنفسه ؟ أم هى المدنية نشأت عند غيره وقريبا منه ، ومع ذلك خاب برغم قرب المساس عن اقتباسها واستعارتها ؟ أم الحقيقة هى التى تقول ، ان العنصر وحده غير كاف لخلق المدنيات واستنباط الحضارات

بدأت الحضارات فى مصر والعراق والهند وشرق البحر الابيض ، ومشى التاريخ قدما فانتقلت مراكزها الى اواسط هذا البحر ثم الى غربه ، ثم مشى التاريخ خطوات أخرى فبلغت الحضارة بحر الشمال والمحيط الأطلسى ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، بدأ العنصر الجرمانى يظهر فى التاريخ ، فان كان العنصر وحده قمينا بكل شىء فكيف ظل الجرمان ابرة كل الاحقاب بينما كانت العناصر الأخرى ، وهى وطيئة فى زعمهم ، تخترع الحروف وتبتدع الارقام وتخط البحار بالتجارة وتبنى الدول وتقيم الحضارات

ان الجزر البريطانية تألفت سكانها فى القرن الثانى عشر من نفس العناصر التى تتألف منها فى القرن العشرين ، الا فى اليسير الحقير ، وقد كانت فى اوائل القرن السادس عشر جزرا لاشأن لها ولاخطر ، ولم يمض على ذلك العهد غير قرنين حتى وجدناها قوة عظيمة فى دول العالم ، فكيف جاءها هذا الشأن وذلك الخطر ، والعنصر هو هو لم يتغير ؟ أليست العوامل التاريخية والجغرافيه اذن أبعد أثرا من كل ماعداها ؟ كانت الجزر البريطانية فى طرف اوربا ، والحضارة متركزة فى شرق البحر الابيض أو وسطه ، فلم يكن لبريطانيا ذلك المساس الذى لا بد منه لاشتعال الثقاب ، لذلك لم يكن لها فى الحضارة

---

(١) شعب ايطالى قديم كان يعيش فى جبال أبينيني الوسطى
(٢) شعب آخر قديم كان يسكن أواسط ايطاليا

قول كبير ولا عمل خطير ، ثم استكشفت أمريكا ، وبين عشية وضحايا انقذفت بريطانيا فى وسط المسرح العالمى ، فلم يكن لها بد من تمثيل دورها ، وانتقل مركز المدنية الى غرب أوربا حيث بقى ويبقى سنين طوالا ، حتى أصبحت لفظة الغرب علما على المدنية ، واصبحت انجلترا قائدة الامم ، وان كان لعنصرها الجرمانى أثر فى هذا الانقلاب ، فهو لا يقارب فى شدته الأثر الذى للحوادث والتاريخ والجغرافيا معا . ولنفس تلك الاسباب زالت عن ايطاليا تلك السيادة التى كانت لها يوم تربعها فى وسط المسرح العالمى ، فى وسط البحر الابيض المتوسط حينما كان هذا البحر عظيما لوقوته فى الطريق الى الشرق وأممه . ولكن كشف امريكا قذف بايطاليا حفيدة الرومان من بؤرة الرقعة الى طرفها ، وفى الوقت نفسه كشفوا عن طريق الهند الآخر ، فلم يكن بد من نزول ايطاليا حفيدة الرومان عن قوتها وثروتها وجاهها نزولا سريعا كسرعة الحوادث فى ذلك المكان الغربى النائى من سطح الارض . فهل ننسب هذا النزول الى العنصر وهو الذى اليه نسبنا الصعود فى سالف الدهور ؟

ثم المخترعات الحديثة وعلى رأسها البخار ، أحدثت فى العالم السياسى والاجتماعى والاقتصادى احداثا أين منها أثر العنصر ؟ ان التاريخ فى القرنين الفائتين كتب بالفحم الاسود والحضارات قيست بعدد الاحصنة البخارية التى للامم ، حضارات بنيت على الفحم والحديد ، فالفحم والحديد عاملان جغرافيان أين منهما أثر العنصر ؟ فلو لم يكن فى صخور انجلترا وامريكا ذلك الذخر الكبير من الوقود الصلب والسائل لكان للتاريخ الأخير مجرى غير الذى كان برغم العنصرية ودعاتها

ان الامم كالافراد يتألف نجاحها من عاملين ، عامل الوراثة وعامل البيئة ، ومن عوامل البيئة العوامل الجغرافية التى ذكرنا مثلا منها ، ولعوامل البيئة هذه أثر لا يناهض فى تقدم الانسان أو تأخره ، وهى على الأقل تضع حداً جازماً لتقدمه لا يمكنه تجاوزه . والحضارات أنتجت انسانية نادرة نشأت من الارض فى بقاع متفرقة ، كانت كلها نتيجة انفعال الانسان لبيئته وتفاعله معها وتغيير نفسه وحاله وفقا لها ، وعلى هذا لا يمكن مقارنة مدنية بمدنية ولا مقدرة شعب بشعب الا إذا قارنا بيئتيهما وهذا جد عسير ، ودون هذا لا تمكن اقامة الدعوى على أن قوماً غير أهل لمدنية لانهم وهم فى بيئة خاصة خابوا فيما حاولوه . ان المایاس Mayas واليوكاتان Yucatan قبيلان من الناس كبيران كانت لهما مدنيتان زاهرتان فى أمريكا الوسطى قبل الفتح الكولومبى بقرون فلو أنك قرنتهما بالاغريق فربما خرجت بأنهما دون هؤلاء عنصراً ، لانهما لم يأتيا بمثل ما أتى الاغريق . ولكن اذا علمت ان هذين القبيلين كانا يعملان فى عسر من الطبيعة شاق ، فقد حرمتهما الدواب وحرمتهما الحديد ، فلم يعرفا لهذه رسما ولا لهذا اسما ، وامتحنت بعد ذلك ما خلفا لوقعا من نفسك موقعا قد يناهض موقع الاغريق أو يعلوه

احمد زكى

رسالة العلم

صحيفة علمية نصف سنوية أصدرتها جمعية خريجى كلية العلوم فى مائة وخمسين صفحة كلها مليئة بالمقالات العلمية الممتعة فى كل ضرب من ضروب العلم ، بأقلام طائفة من الشباب العاقل الرزين المنتج ، مجموعة من بواكير لاتحسبها عند القراءة بواكير ، كتبت للجمهور المثقف العالى ، جمعت الى سهولة اللفظ صواب الحقيقة فى وفرة ولذة وحسن اختيار ، فالرسالة تهنىء تلك الطائفة الكريمة بما انتجت ، وتغتبط بالمعنى الذى أوحى لها الاسم الذى اختارته لصحيفتها ، وترجو لهم التوفيق الدائم فى جهودهم العلمية الكبيرة التى هى من جهود مصر وظاهرة من أمس الظواهر بمستقبلها الزاهر المرجو

العالم المسرحى والسينمائى

مسارحنا فى الأعياد

لناقد «الرسالة» الفنى

جرت تقاليد المسارح الكبرى، ودور اللهو فى أوربا عامة، وفى انجلترا خاصة، على اعداد برامج حافلة فى مواسم أعياد الميلاد ورأس السنة، تعنى بعرض مشاهد مسلية يجد فيها الأطفال متعة ولهواً بريئاً يثير فى نفوسهم الغضة ألواناً من السعادة والجذل، ويجعلهم ينعمون بأمسيات طيبة فى ليالى العيد، تبهج قلوبهم، وتبعث فيها الحياة والمرح.

وتزدحم المسارح فى أيام العيد بروادها من الأطفال مع أهلهم الذين يصحبونهم يشاركونهم اللهو والسرور جذلين فرحين بأن ينعم أبناؤهم بما أعدوه لهم من مباهج العيد ومسراته فى المنزل أو فى المسرح على السواء.

وتستمر حفلات الأعياد فى المسارح قرابة شهر، وأكثر البرامج المعروضة من نوع «البانتوميم» الذى يمثل بعض الخرافات الشائعة، أو القصص الصغيرة المسلية، التى لا يعيا ذهن الطفل الحدث فى تفهمها ومتابعتها، وتصحب بالموسيقى والأغانى الرقيقة التى يسهل على الطفل حفظها وترديدها بلفظها الجزل، ولحنها السهل، ونغمها الشجى العذب.

وهناك بعض الروايات على المسرح الانجليزى، تعد خصيصا لحفلات أعياد الميلاد ورأس السنة، وقد أصبح تمثيلها من التقاليد الموروثة التى لا مندحة عنها، وبعضها يرجع تاريخ ظهوره الى حوالى نصف قرن، ولكنها تظهر كل عام فى مظهر أنيق، فتعدُّ لها الملابس الجديدة الزاهية، والمناظر الدقيقة الجميلة، وقد تضاف اليها بعض الأناشيد والأغانى لتجعل لها لونا جديداً جذابا.

وأشهر الروايات التى عرضت هذه السنة على مسارح لندن فى مواسم الاعياد «سندرلا» و«الاطفال فى الغابة» و«ديك وتنجتن» و«علاء الدين» ويرجع تاريخ ظهورها الى سنة ١٨٩٣، أعنى الى واحد وأربعين سنة مضت.

ومن أحسن الروايات التى عرضت هذه السنة، ولها تاريخ ماض طويل، رواية «بيتربان» التى يحتفظ بطلها بنضارة الصبا على مدى الحياة، وهو خالد على مر الدهور لأنه يمثل روح الشباب الخالدة أبدا.

ومثلت رواية «هانسل وجريتل» على مسرح كامبردج، وقد ظهرت لأول مرة على مسارح لندن سنة ١٨٩٥ حيث مثلتها فرقة كاروزو. وتعد بموسيقاها من أحسن الروايات الغنائية، ولها شهرتها البعيدة فى انجلترا والمانيا على السواء، بل فى القاهرة أيضا وقد كتبت قصتها للأطفال خاصة

ومن الروايات القديمة التى تمثل فى هذا الموسم رواية «أين ينتهى قوس قزح» التى يرجع تاريخ ظهورها الى حوالى عشرين سنة مضت، وهى رواية وطنية تثير فى الطفل الانجليزى الوانا شتى من العاطفة القومية، وموضوع القصة خرافى ولكنه من الموضوعات الشائقة التى يكون لها فى قلب المشاهد أبلغ الأثر.

وبعض هذه القصص والروايات تمثل فى لندن وفى كثير من المدن الانجليزية الكبرى فى وقت واحد أثناء أعياد الميلاد. ولا نريد ان نمضى فى هذه الناحية من الحديث الى غير نهاية، فانما أردنا بذلك ان نمهد لما نريد ان نقوله للمشتغلين بالمسرح فى مصر، وانا لنرى منهم اهمالا تاما وعدم احتفاء بأعيادنا القومية او الدينية وانها لتمر عليهم كغيرها من سائر الأيام، فلا يعدون لها برنامجا خاصا ولا روايات معينة، بل يحشدون فيها رواياتهم القديمة المعروفة فلا جديد فى أيام العيد ولا ما يشبهه، وما يعنون باعداد مشاهد مسلية طريفة يستطيع أطفالنا ان يجدوا فيها متعة ولهوا، ويكون فى مقدورنا ان نصحب صغارنا الى دور المسارح مطمئنين

الى انهم سوف يلقون قصصا تبهجهم وتسعدهم وتناسب عقليتهم الساذجة البسيطة.

وبينما يجد الطفل الانجليزى فى العيد من الروايات والمشاهد مايحيى فى قلبه عاطفة قوية اويبث فى نفسه الحمية الوطنية ، اويدفعه الى حب الخير وينمى فيه حاسة العطف على الفقير والبائس والمحروم ، أو يريه من نواحى الفضيلة مايحببه فيها ، ومن صور الرذيلة مايزهده فى اقترافها ، ومن معانى تقدير الآباء واحترامهم ، وتبجيل الاهل وإيتاء ذوى القربى ، ما ينشئه نشاة صالحة طيبة ، بينما يجد الطفل فى انجلترا وفى غيرها من الممالك الاوربية هذه الروايات الطيبة التى تسليه وتربيه معاً ، ويراها يوم عيد ونفسه أحسن ما تكون استعداداً لتلقى ما يلقى اليها من المعانى السامية والاغراض الجليلة ، لا يجد طفلنا شيئا من هذا ، وانه ليمضى نهاره وليله حبيس غرفته وقد تمضى به إلى حديقة أو إلى زيارة بعض الاقرباء ، وليس فى كل هذا جديد عليه.

ولست أدرى من ألوم. المؤلف المصرى أو مديرى الفرق التمثيلية ؟ فلو أن مؤلفاً كتب قصة من هذه التى تماثل ما ذكرنا من قصص المسرح الانجليزى التى تعرض فى مواسم الاعياد هل كان يجد الفرقة التى تقبلها وتعرضها؟ إن مؤلفنا لاتنقصه الموضوعات ان شاء وفى كثير من الخرافات الشائعة مجال واسع لقلمه ان أحب ، وانه ليستطيع أن يخلق من بعض هـــذه الخرافات التى يتلقاها الاطفال فى المنزل وتفسد عليهم تفكيرهم البرىء موضوعات شائقة تنقلب بها الخرافة من النقيض الى النقيض وتزيح عن عقل الصغير شيئا ما نظنه بالهين ولا باليسير.

وهذا « البعبع » الذى خلقته العجائز لاخافة الطفل وإفزاعه أما نستطيع ان نعيده رجلا طيبا يحنو على الاطفال ويحبهم ويهبهم ليلة العيد العطايا والمنح الطيبة من الالعاب والحلوى ، أسوة بيابا نويل الذى خلقته الخرافة فى الغرب فجعلت منه معبوداً للأطفال الصغار ؟ ! و « أبورجل مسلوخة » ، ماذنب المسكين فى سلخ رجله ، وما ذنب اطفالنا نقيمه لهم مخافة ومفزعا ؟ أما فى مقدورنا أن نضع حول خرافته قصة لطيفة مسلية نبرزه فيها الرجل الطيب الذى يحب الاطفال الذين يحترمون آباءهم ويبجلون اساتذتهم ، ويهب النشيطين منهم والمكبين على الدرس الهدايا واللعب والحلوى ، وننتزع بذلك تلك الصورة المشوهة التى نلقيها فى ذهن أطفالنا وندفعهم الى التقرب منه عن طريق حبه ورجاء خيره ، بدل أن نفزعهم بصورته البشعة ورجله المسلوخة ؟

وفى العيد الكبير ألا تصلح قصة كبش الفداء موضوعا لرواية سهلة يرى فيها أطفالنا أصل هذه العادة الاسلامية التى تدفعنا الى ذبح الكباش يوم العيد وتوزيع لحومها على الفقراء والمعوزين؟

اننا نستطيع ان نخلق عشرات الروايات من تاريخ مصر القومى ومن تاريخنا الاسلامى تدور حول موضوعات تبث فى قلوب الأطفال حب الوطن وتقدير تاريخهم المجيد ، كما تبذر فيهم بذرة طيبة صالحة من الخلق القويم والادب الرفيع ، غير ما ندخله على نفوسهم من الوان المرح والسرور بهذه القصص الشائقة المسلية ، ونجعل العيد متعة لهم ومبعث سعادة وفرح ، ونجعلهم مشوقين اليه جد الشوق ، يحسون مبلغ عنايتنا بالترفيه عنهم وادخال السرور على نفوسهم ، ونجعل من العيد حياة زاخرة قوية ، ومن ايامه افراحا واعراسا للصغار والكبار على السواء . ونقيم فارقا بين ساعاته التى يجب أن نملأها نعيما وهناء ، وبين أيام السنة التى تمضى بين الجد والعمل ، وتمر فاترة مملولة.

وبعد ... هل تجد هذه الكلمة أذنا صاغية من مؤلف أو مدير فرقة ؟ لقد مرت فرصة العيد الصغير ولكن ما يزال فى الوقت فسحة للعيد القادم ، فلعل صغارنا يلقون فيه بعض ما يلقى صغار الأمم والشعوب يوم العيد.

محمد على حماد

القصص

أمير النوبة

بقلم الأديب حسين شوقى

عاد أمير النوبة الى (نباتا) بعد أن قضى سنوات طويلة فى مصر ، على زعم أنه يتلقى الدروس بجامعة (عين شمس) الدينية العظيمة ، ولكن الواقع هو أنه قضاها فى مغازلة وصيفات الاله « رع » الحسان ؛ وما كاد الأمير يرجع الى وطنه حتى شعر بحنين شديد الى مصر ، وطنه الثانى ، فتذكر فى حسرة شوارع منفيس الواسعة ، وحوانيتها الفخمة ، وبائعاتها الرشيقات ، ومراقصها . .

أما هنا فى (نباتا) فكل شىء يضايقه : فقصر أبيه الملك لا يزيد شأناً على الأعشاش التى يقيمها بعض وجهاء المصريين — فى المصايف — على شاطىء البحر ؛ والنساء كلهن بدينات متزينات بالريش والودع ، دميمات المنظر مثل (سحمت) الاله المصرى الذى يلتهم المذنبين فى العالم الثانى . . أما أصدقاؤه من النوبيين فكلهم خشن الطباع ، يلتهمون الطعام بأيديهم فى وحشية وقذارة . . إنه يؤثر عليهم العزلة ليخلو الى خياله فيتذكر أصدقاءه المصريين المرحين فى (عين شمس) الذين قضى معهم أياما سعيدة فى قصورهم الشامخة على ضفاف النيل. ما أبهج تلك الليالى التى قضاها معهم فى احتساء « الجعة » اللذيذة المخصصة لقرابين الاله رع ، والتى كانوا يحصلون عليها خفية ! .

أما النوبيون فكانوا لا يميلون اليه ، بل كانوا يسخرون من عاداته التى اكتسبها من مصر ؛ ويرمونه بالخنوثة . .

حقا ! ان آلام الأمير النفسية كانت شديدة ، خصوصا وهو لم ينس قط (تايا) الحسناء بنت معلمه الكاهن (منتو) ، كم ود أن تصحبه هذه الفتاة الى (نباتا) ، ولكن ماذا يعمل أمام رفض والدها الكاهن وهو رجل يحافظ على التقاليد . لم يرض أن تتزوج ابنته من أجنبى دنس فى نظر الدين . .

وبينما هو سابح فى هذه الاحلام ، يذكر هذه المناظر المصرية خلال الدخان المتصاعد من « غليونه » ، اذا بأبيه الملك يدخل عليه فجاه فيقول :

ولدى ! أتحب أن تعود الى مصر ؟

فأجاب الأمير وقد تهلل وجهه :

ما أشد سرورى بذلك يا أبت ! هذه غاية مناى

الملك — ولكنك ستعود هذه المرة طالبا ملكهم لا علمهم ! فستقود الجند الذين سيزحفون على مصر فى الغد ، لأن الوقت مناسب لهذا الهجوم ، أما أنا فصحتى لا تسمح لى بالسفر ، انظر الى ساقى ؛ إن ورمهما يزداد كل يوم . . هذا بلا شك أثر لسحر تلك الجارية التى طردتها فى الاسبوع الماضى : آه من السحر ! كان يجب أن أدق عنقها بدلا من أن أطردها ؛ ومع ذلك فأنت تعرف مصر جيداً ، ولا بد أنك مغتبط بهذه المهمة . .

قال الأمير (فى غضب) — كلا يا والدى ! لا أريد أن أذهب الى مصر جلاداً . .

فصاح الملك متعجبا ماذا تقول ياولدى ؟ من علمك هذه الترهات ؟

إنى آمرك بذلك . أفهمت ؟

قال الأمير — إنى آسف ياوالدى إذ لا أستطيع أن أرافق جيشك فى هذه الغزوة !

فصاح به الملك — (فى غضب) — أنى آمرك حقا لقد أخطأت فى إرسالك إلى مصر لتتعلم ، إن القوم مهرة فى علم السحر ، فهم قد سحروك . .

الأمير — أجل ! انهم سحرونى بحضارتهم !

الملك — (يضحك بصوت عال) — حضارتهم ! أين هى ؟ أتسمى حضارة هذا « الغليون » الذى يكتم أنفاسى بدخانه ؟

الامير — ولكن يا أبت ما الفائدة التى نجنيها من هذه الحرب ؟ إن المصريين أقوياء وجيشهم مجهز بأحدث الاسلحة . .

الملك — ولكنهم منقسمون ، يحارب بعضهم بعضا ، انها فرصة ثمينة لغزوهم الآن ..

الامير — ولكن ألا تخشى غضب آلهتهم العظام ؟

الملك — (يضحك) - ليست آلهتهم الا ضفادع المستنقعات وقطط الحيطان .. (ثم قال فى جد) كفى الآن مزاحا ، اذهب! فارصد أهبتك للرحيل

الأمير - لن أذهب ياأبت !

الملك (محتداً) - بل ستذهب أيها الولد العاق !

غادر الملك الحجرة فشعر الأمير بعد أن هدأت ثورته بحزن عميق ، لأنه لايستطيع بحال أن يحارب المصريين الذين تعلم فى ديارهم ، وتثقف بثقافتهم ، واتخذ من بينهم أصدقاء كثيرين .. انه لايستطيع أن يتصور النيل مصبوغا بالدماء ، ورياضه وخمائله جرداء ، وقصوره تلتهمها النيران. كلا ! ثم إن المصريين لم يعتدوا من جانبهم على النوبة حتى يكون هناك مبرر لهذا الزحف ، كلا ! هذا أمر فظيع ! انه يؤثر عليه الموت ..

ألقى الأمير بنفسه على السرير وأخذ يبكى طويلا ، ثم نهض فتذكر قنينة السم التى أعطاها اياه معلمه الكاهن (منتو) عندما ذهب ليودعه يوم سفره ، كما تذكر قول الكاهن وتشد :

« ولدى ! ان فى الحياة أوقاتا يفضل الموت فيها ، وأنتم معشر الملوك والأمراء معرضون لاخطار كثيرة كالاسر أو المنفى ، ثم إن هذا السم لا يحدث ألما وانما يشعر شاربه كانه فى الفردوس .. »

قصد الأمير دون تردد زاوية من الحجرة حيث كانت حقيبته التى صحبته فى رحلاته الى مصر ، فنظر بعين ملؤها العطف الى البطاقات الكثيرة التى تحملها الحقيبة من الفنادق الكبيرة فى منفيس وطيبة وصالحجر ، فأخرج منها قنينة السم ثم شربها جرعة واحدة وتطرح على السرير ..

وفى صباح اليوم التالى جاء خادمه لايقاظه من النوم كالعادة ، ولكنه امتنع هذه المرة عن تأدية هذا الواجب لأن وجه سيده كان يفيض بشاشة ، فلم يشأ ان يعكر عليه أحلامه اللذيذة ..

حقاً ! إن الكاهن (منتو) لم يكذب حين قال إن شارب سمه يحلم بالفردوس ، ولكن الواقع ان روح الامير كانت فعلا فى الفردوس ، لأن الآلهة أرادوا مكافأته على تضحيته وانقاذه مصر فردوسهم الثانى فى هذه الأرض ..

حسين شوقى

أسطورة جاهلية

أساف ونائلة

حدث السادن (تيم) من (جرهم) يروى قصة « أساف » و « نائلة » اللذين مسخا صنمين ، فعبدتهما قبيلتا (قريش) و (خزاعة) ومن حج الكعبة من بعدهما ، قال : كان (أساف بن يعلى) من أشراف « جرهم » ، ومن أشجع فرسانها ، وكان مليح الوجه ظريفا عظيم النفوذ بين العرب ، وكانت جرهم تهابه أكثر مما تحبه ، وقد أوتى حكمة الشعر والكهانة ، وجمع إلى المال قوة العماليق ، شيد له صرحا فى اليمن كعش النسر ، ولم يسكنه إلا بعد أن أخذ بثأر أبيه المقتول ، ونحر على قبره ، واحتفر للغنائم من حوله ، حفراً ختمها بالحديد هذا الجبار الذى كان يتلهى بقتل عبيده فى أوقات الفراغ ، وقع أسير حب (نائله بنت زيد) من « جرهم » ، وكانت من أجمل نساء العرب ، وأكثرهن ذكاء . تنشد الشعر ، وتترك النار مشبوبة حول بيوتها للضيفان ، وكان ربما خرج « أساف » للصيد والقنص ، فصادف جوارى يستقين ، فينشدنه من أشعارها ما يطربه ، وما كان « أساف » ليأنف أن يقف للناس فى الاسواق وهو الزعيم القوى البأس لكى ينشدهم شعره فى نائلة ، فاشتهر عشق البطل لربة الجمال ، وتغنت به الركبان فى أرض اليمن وكان من عادة العرب ، التفريق بين العاشقين ، فكان طبيعيا أن يحرم العاشق لذة اللقاء ، وأن يذوق حرارة البعد ، ومرارة الفراق ، وأن تفكر المعشوقة فى خلها طول النهار ، وطرفا من الليل ، وأن يتحين العاشقان فرصة اللقاء ، ليرتشفا كأس الحب ، فلما أقبلت نائلة من اليمن تحج البيت ، كان أساف قد سبقها اليه ، وكانت العرب تعظم الكعبة ، وتبالغ فى حبها والتبرك بها ، وكانت تضع فى جوفها أصنامها المعبودة

والتقى أساف بنائلة حول ذلك البيت المقدس حاجين ، وما كان أشد اشتياق البطل لمعشوقته ، فطافا مرارا ، ثم دخلا الكعبة يتبركان بأصنامها ، فاتفق أن وجدا غفلة من الناس ، وخلوة فى البيت ،

فتقدم البطل إلى ربة الجمال ، وأسلمت نفسها له فى خفة ، ورقة ولين ، فضمها العاشق إلى نفسه ، وتبادلا قبلات فيها شغف ولهفة ، وفيها وجد وحنين ، وإذ ذاك صدرت فى الحال همهمة مروعة ، من أجواف الأوثان ، أخرجت العاشق من لذة القبل ، فغضب ، وسب الأصنام ولعنها ، فلما أصبح الحجاج وجدوهما صنمين على صورتهما من العقيق الأحمر ، فعدت قريش مسخهما فضلا من الآلهة ورحمة ، واحتفلت خزاعة بهما ، ونصبتهما للعبادة فى أرفع مكان بالكعبة ، وكانت تتقرب إلى عبادتهما بالهدايا والقرابين ، وتنحر عندهما ، وكلما حجت العرب الكعبة تمسحت النساء بالصنم (نائلة) وتمسح الرجال بالصنم المعبود (أساف) وطافوا من حولهما . وبالغت قريش فى تقديسهما فأقامت لهما منحرا ينحرون فيه الهدايا من النوق العتاق ، والشياه السمان ، واختارت سدنتهما من مشايخها . وكانت بنات (نائله) السادنات يرسلن شعورهن ، وينتظرن ظهورها على قارعة النخل مرة كل عام . وكانت نائلة تظهر مرة كل عام فى صورة شيطان ، رائعة الجمال ، مرسلة الشعر ، يركض بها جواد أشهب ، الى مقر الكعبة ، فاذا بلغتها اختفت ، وسمع من الصنمين صوت القبلات المتبادلة ، وربما يكون العربى الحاج فى هذه الفترة على بعد ألف فرسخ من مقر زوجته أو أمه ، فيشعر كأنه قد قبلها وقبلته .

سليمان متولى

ربع مية ...

(بقيـــة المنشور على صفحة ٦)

ليلة من الليالى بهذا الخفوت المنكر المخيف ..قال أصحابى فأنك تنسى أن الأزهر قد كان جامعاً فاصبح جامعة ، وإنك تنسى أن الجامعة إن استيقظت فى النهار فهى تنام فى الليل ، وانك تنسى أن للجامعة نظاما يحد خطها من الحركة وحظها من النشاط . فاذكر هذا كله واذكر انك تخطئ اشد الخطأ إن ظننت أن التجديد مقصور على الجامعة وأصحاب الجامعة ، فالتجديد أقوى وأنشط وأوسع سلطاناً مما تظن . انظر اليه كيف وصل إلى الأزهر فعلمه كيف يكون الكلام فى النهار والصمت فى الليل . وقد كان الأزهر متصل الكلام فى الليل والنهار . قلت لأصحابى يابؤسى للتجديد اذا انتهى بالأزهر الى هذه الحال ! كم كنت أوثر ان يظل الأزهر جامعا والا يمسخ جامعة .

طه حسين

مجموعة السنة الاولى

لدى الادارة مجموعات من السنة الأولى للرسالة تباع مجلدة بخمسة وثلاثين قرشا عدا أجرة البريد

فى الكتب

حيـــاة نابليون

تأليف الاســـتاذ حسن جلال

يقول الانجليز « لا ينجح مثل النجاح » وهذا ما أردده حين أتعرض للأستاذ حسن جلال ، فقد أخرج من قبل كتابه « الثورة الفرنسية » فكان توفيقه باهراً ، ثم طلع علينا أخيرا بكتابه « حياة نابليون » فكان بحق مثار الاعجاب والدهشة .

نعم ، الكتاب جدير باعجابنا وتقديرنا ، فها هى ذى كتب التاريخ الكبيرة بين أيدينا نقرؤها من غير شهية ، وهذا فى اعتقادى ناشيء من أن الكاتب لم تتشبع روحه بالموضوع ، ولم يهضم مادته هضما يمكنه من جعل الحقائق غذاء سائغا لقرائه ؛ وأستاذنا من هذه الناحية يحب تاريخ الثورة الفرنسية وعهد نابليون ويعجب به ، ولعل الكثير من تلاميذه لا يزال يذكر مقدار توفيقه فى تدريس هذه المادة . الحق أن الاستاذ بلغ فى هذا منتهى ما يصل اليه الخيال من حدود التوفيق ، ذلك لأنه كان يقبل على عمله بعاطفة ، ولعل هذا يفسره إخراج هذين الكتابين .

فاذا كان الاستاذ قد أحب هذه الصفحة من التاريخ الفرنسى ، وصرف شطرا من عمره يبحثها وتشبعت روحه بها ، فلا أقل من أن يضع بين يدى طلاب الثقافة عصارتها ، ومن ثم كان الكتاب سهلا سائغا يحبه القارىء وتلذه قراءته . ولا يفرغ منه إلا ليقرأه من جديد .

هناك نقطة أخرى . هى الحقائق لا أكثر ولا أقل ، يسود المؤلفون بها صحائف الكتب ويلقونها على تلاميذهم دون أن يحاولوا استخلاص الآراء التى تحتجب وراءها . أو بمعنى آخر دون أن يعلقوا عليها التعليق الذى يجعلها تفيض نضارة وحياة وقوة . الى هذا كله فطن الأستاذ حسن جلال ، فلم يكن يهمه فى كتابه أن يعلم القارىء أن مئات الحوادث قد وقعت ، ولكن يهمه أن يصل بالقارىء الى ظروف حدوثها وكيف كان يفكر أبطالها ، ثم الى أى حد كتب لهم التوفيق ولماذا أصابهم النجاح أو ضرب عليهم الفشل . ونرى فى « حياة نابليون » أن الاستاذ المؤلف يوجه القارىء بواسطة المعلومات التى ساقها فى مهارة ولباقة فائقين ، إلى سبل التطور وتتبعها ، وتفهم الاصول الاجتماعية والسياسية والخلقية والعقلية والاقتصادية التى أحاطت بالعصر الذى عاش فيه نابليون . أما مادة الكتاب فلم يكن الاستاذ مخترعا لها ، فالتاريخ انما يستخلص من المراجع ؛ ولكننا نجد بعض المؤلفين ينقلون صحائف برمتها من هذه المراجع ، ثم يكتبون صحائف أخرى بأنفسهم ، فلا نجد انسجاماً بين أجزاء الكتاب الواحد . والقارىء لكتاب الأستاذ جلال يلمس مهارة المؤلف فى اختيار مادة كتابه ، ويلمس كذلك الترتيب المنطقى للمعلومات ، وتبدو شخصية المؤلف الجذابة وروحه الخفيفة قويتين بحيث لا نميز خلالها روح مؤلف ممن رجع اليهم ، كل هذا برغم أن الكتابة عن الاشخاص فى نظرى أبعد أنواع الكتابة التاريخية منالا .

وليس عجيباً أن يكون الأستاذ هادئاً بطبعه ، ولكن العجيب أن يكون هادئاً حتى وهو يكتب هذه الحياة العاصفة ، لا يميل مع الانجليزى الذى يمثل نابليون أفعى نفثت سمومها ، ولا مع الفرنسى الذى يصور الرجل من قادة البشر الى الحرية والاخاء والمساواة ، بل يجلس الأستاذ بينهما مجلس القضاء .

ومهارة الاستاذ فى القصص ، تفوق مهارته فى التاريخ ، فأنت حين تقرأ وصفه للقاء نابليون بجزفين بعد عودته من مصر ، تنسى التاريخ وتنسى كل شىء الا ذلك التصوير الرائع ، ولكنك لا تكاد تنتهى منه حتى تصدمك عنوانات تاريخية جافة (حالة فرنسا فى غياب بونابرت — انقلاب برومير — دستور ١٧٩٩) فتوقظك من ذلك الحلم وتعيدك الى حظيرة التاريخ مرة ثانية ؛ ذلك نصادفه كثيرا فى كتاب الاستاذ ؛ فهل نعتبر الكتاب قصيدة منثورة أو نعتبره قطعة من التاريخ ؟ أما رأيى فهو أن الكتاب تاريخ شعرى ، وما أحوج التاريخ الى ان يكون سائغا جميلا ، ولاسيما اذا انتبهنا الى ان الاستاذ لم يكتب لنا مؤلفا نضعه فى عداد المراجع التاريخية ، أو سفرا له قيمة السجلات الرسمية ، ولكنه صاغ حلقة من سلسلة المعارف العامة التى تعنى لجنة التأليف والترجمة والنشر بوضعها بين ايدى طلاب الثقافة . وآخر كلمة اقولها بعد ان قرأت (حياة نابليون) ان الاستاذ المؤلف قد عرض المؤرخين الذين ترجموا لهذا البطل صفا صفا ، استملاهم جميعا فأفرغوا ما كان يملأ جعباتهم (من وحى الهوى وتصوير الاعجاب وإملاء المقت وصدى الحفيظة) ثم ناقشهم الحساب العسير حتى عرف البواعث التى املت ما قالوا ، وأخيراً قال كلمة العدالة التى عصبت عينيها ، ورفعت الميزان فى احدى يديها ، وأمسكت بالأخرى سلاحها ، فكانت كلمته فصل الخطاب ؟

عبد الفتاح السرنجاوى